رواية

العجوز المتمرد

2055م

دكتور/ محمد رجب

بسم الله الرحمن الرحيم

{وما توفيقي إلا بالله}

دكتور/ محمد رجب إبراهيم صيام

رسالتي/ "أن يقود الناس أنفسهم بأنفسهم"

- دكتوراه في إدارة الأعمال، نظرية قيادة الذات، الاكاديمية العربية للعلوم والنقل البحري، ٢٠١٥م.

- ماجستير إدارة الأعمال، الاكاديمية العربية للعلوم والنقل البحرى.

- دبلومة في "التاي تشي" من اكاديمية "شنج تينج" في جمهورية الصين الشعبية.

- دبلومة في إدراة الأعمال، اكاديمية السادات للعلوم الادارية.

- دبلومة في إدارة التسويق، كلية التجارة - جامعة الاسكندرية.

- عدد من الدورات في لغة الجسد، الفراسة، فن الإلقاء.

- مشاركة في تأسيس وإدارة عدد من المؤسسات التجارية والصناعية والخدمية والتعليمية وإدارة الموارد البشرية.

- مشاركة في العديد من البرامج الإذاعية والفضائية.

- مؤسس ومحاضر المبادرة التطوعية **"ابني هرم أحلامك"** في مكتبة الاسكندرية ووزارة الثقافة المصرية.

كتب نُشرت للمؤلف

١- استراتيجيات قيادة الذات - دع حلمك يرى النور.
٢- أنت رئيس جمهورية نفسك.
٣- حظك من السماء – 22 قانوناً لجلب الحظ.
٤- التعايش مع الذات.
٥- كوكب الأثرياء – لماذا يزداد الأغنياء الشرفاء غنىً ويزداد الفقراء فقراً؟

للتواصل

- E-mail: dr.mohmedragab@gmail.com

- https://www.facebook.com/selfleading

-https://www.youtube.com/channel/UCPJDtjtj9AmbNMDE7FqlikQ

شكر وتقدير

- إلى حبيبي محمد صلى الله عليه وسلم الذي ترك أعظم ميراث؛ سنته العطرة،

- إلى زوجتي وأولادي، ووالدي رحمهما الله، وجميع أهلي حفظهم الله،

- إلى أستاذي الدكتور/ شريف دلاور، والذي تعلمت منه الشغف بالعلم والعطاء،

- إلى كل من دعمني لتقديم المزيد لنحقق معاً الرفعة في الدنيا والآخرة برحمة الله،

- إلى كل لحظة ألم فجّرت في نفسي المزيد من الإصرار بفضل الله،

{الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ}

عن الرواية

يستيقظ في الصباح ليفاجئ بأن عمره تجاوز السبعين عاماً وأنه في عام ٢٠٥٥م، بينما بالأمس كان في عز شبابه وفي عام ٢٠١٩م، يبحث عن زوجته وأولاده فلا يجدهم، ويجد كل شئ حوله قد تغير؛ الناس، الطرقات، السيارات. وبعدما تأكد أن ذلك ليس مجرد كابوس، ولم ينتقل عبر آلة الزمن، يقرر خوض مغامرة لمعرفة حقيقة ما يحدث، ويتعرض للعديد من المواقف، يرفض الواقع الجديد ويتمرد عليه، ويستمر في مغامرته حتى يعرف الحقيقة ويصل إلى أسرته.

د. محمد رجب

المرآة الكاذبة

غرفة صغيرة يبدوا أنه لم يتم دهانها منذ زمن، علا التراب شبابيكها حتى ضاعت ألوانها، ورسم العنكبوت عليها خيوطه الحريرية ليؤكد أنها لم تُفتح منذ فترة طويلة، وفي الركن سرير قديم متهالك عليه فراش متواضع، وبالرغم من ذلك فإن الحجرة منظمة ومرتبة على أفضل حال.

على الأرض بجوار السرير يرقد رجل يبدوا أنه تجاوز ال ٧٠ من عمره، يتقلب ببطء، يتألم بشدة، ويهذي بكلمات غير مفهومة وكأنّه يحلم بكابوس، يتصبب عرقاً رغم أنه ليس فصل الصيف. أخيراً يستقيظ الرجل والذي غير الشيب لون شعر رأسه ولحيته الخفيفة، وأكلت الشيخوخة جسده فأصبح نحيفاً هزيلاً، يستيقظ وهو يشعر بألم شديد في رأسه، ويسأل نفسه بمجرد أن رأت عيناه النور:

- ايه الصداع ده؟ .. جسمي بيوجعني جداً .. مش قادر أقوم من السرير ..

ثم يلتفت حوله ليصرخ بصوته الضعيف:

- سرير! .. فين السرير .. ايه ده أنا نايم على الأرض! .. ايه اللي رماني كده؟

يتحامل على نفسه بصعوبة شديدة ليرفع ظهره من الأرض ويفرد قدميه أمامه ليرى شيئاً غريباً؛ يرى شعراً أبيضاً في قدميه وجلداً متجعداً، يسأل نفسه بصوت يشوبه الفزع، بينما يمسك رأسه من الألم:

- ايه الشعر الأبيض ده؟ وايه ده كمان؟ .. تجاعيد؟

يستجمع قواه ثم يقول بروح الدُعابة التي يتحلى بها دائماً، حتى في أصعب المواقف: أنا عجّزت فجأة ولا ايه؟ دي رجلي بجد .. ولا رجل السرير؟

يرفع إزاره ليرى ساقيه، فيرى الشعر الأبيض يكسوها، فيزداد قلقاً وخوفاً ويرتفع حاجبه الأبيض كثيف الشعر وهو يقول:

- ايه ده؟ ... هو فيه ايه؟

بصعوبة يتجه إلى المرآة وينظر إلى نفسه، فيشعر بالهلع وهو يقول بصوت مرتعش:

- مين الراجل العجوز ده؟ مين ده يا مصطفى؟ ده حد شبهي جداً .. لكن ازاي؟ ... ده عجوز .. وأنا شاب عندي ٣٥ سنة؟

يقترب من المرآة ويضع يده عليها يتحسسها وكأنّه يريد التأكد أنها صورته وليس شخصاً آخر، ويقول:

- يمكن الكاميرا الخفية؟ .. ولا حد بيهزر معاي؟ .. أو يمكن المراية بتكذب؟

يصمت قليلاً ثم يقول:

- شكلي خرفت .. المراية بتكذب!! .. أنا فعلاً عجّزت ... يا نهار أسود .. لأ أسود ايه .. يا نهار شعر أبيض ..

ثم ينادي بأعلى صوته وهو يلتفت يميناً ويساراً:

- أنتم فين؟ .. يا ولاد .. حد يرد.

لم يجبه أحد .. فجلس متعجباً حائراً خائفاً .. نظر في كل الاتجاهات، ثم رأى هاتفاً محمولاً، فقال:

- الحمد لله فيه موبيل .. أكلم أي حد أفهم ايه اللي بيحصل.

كان الهاتف كأنّه عجز أيضاً؛ كان في حالة مزرية ويبدوا أنه قديم للغاية، كما كان بلا شحن، حاول شحنه لكنه لم يجد شاحناً، ثم حاول الرجل استخدام الهاتف الأرضي لكن الخط كان مقطوعاً.

زاد الصداع في رأسه، فمسك رأسه بكلتا يديه من شدة الألم، وتوجه إلى المطبخ بحثاً عن مُسّكن، فوجد علبة دواء، وبلا تردد ودون أن يعرف اسم الدواء وضع في فمه حبتين لعل الألم يسكن، كما صنع لنفسه كوباً من الشاي وجلس على كرسي متواضع يحتسيه، وهو يحدث نفسه:

- ايه اللي بيحصلي ده؟ ... ازاي عجّزت كده؟ ... يمكن ده كبوس وهصحي بعد شويه؟ .. ولا يكون حد عمل لي سحر؟ لكن أنا طول عمري طيب وعمري ما أذيت حد .... يمكن أتفجعت وأنا نايم فشيبت؟ .. لكن التجاعيد اللي في جسمي ليه؟ وليه مش قادر امشي؟ يمكن نمت لحد ما عجزت زي أصحاب الكهف؟ لكن الأكل في المطبخ سليم.

فرك الرجل فروة رأسه وهو يفكر بصوت عالٍ:

- طيب أفكر بهدوء .. أنا في البيت لوحدي .. فين مراتي وأولادي؟ مش معقول يكون رموني في الشقة التعبانة دي وسابوني أنام حياتي.

ظل الرجل يسأل نفسه عما حدث له ويجيب على أسئلته، ممسكاً بمرآة صغيرة ينظر إليها وهو متعجب من شكله، ثم يضعها جانباً، ثم يمسكها وينظر إليها مجدداً، وهو يحاول تذكر أي شئ، وأخيراً قال بصوت مرتفع ملئ بالأمل:

- آه افتكرت ... امبارح اتخانقت مع مراتي وولادي وهددتهم أني هسيب البيت ومش هيشوفوني تاني .. لكن ده كان مجرد كلام .. وخرجت من البيت وأنا غضبان .. ايه بقى اللي حصل بعد كده؟؟ مش فاكر أي حاجة .. اللي فاكره أن بيتي مش تعبان زي الشقة العجوزة اللي شبهي دي .....

ثم قرر أخيراً الخروج للشارع لعله يجد من يعرفه ويعّرفه ماذا يحدث.

عم شبيكة

خرج الرجل من بيته باحثاً عن الحقيقة، وبينما هو ينزل على السلالم قابل أحد الشباب الصغير، فنظر إليه الرجل، فبادره الشاب:

- السلام عليكم يا عم شبيكة.

- وعليكم السلام ورحمة الله و... ايه عم دي؟ بتقول ليه عم؟

- هل أخطأت في شئ يا عم شبيكة؟ .. قلت لك يا عم شبيكة لأنك عم شبيكة .. صح كده يا عم شبيكة ولا غلط يا عم شبيكة!

- كفاية .. كل دي (عم شبيكة) .. أنت قلت اسمي ستميت مرة .. وبعدين أنا اسمي مصطفى مش شبكة؟

يضحك الشاب بصوت مرتفع للغاية:

- شبكة! ..... إنه شبيكة .... فمنذ أن سكنت هنا والجميع يقول لك شبيكة يا عم شبيكة .... لأنك كنت كلما تكلم معك شخص تشتبك معه في شجار بالكلام وأحياناً باليد.

يصمت الرجل قليلاً محاولاً استيعاب الكلام، ثم يقول:

- طيب وأنت اسمك ايه؟

- أنا شفيق .. شفيق ... كيف تنساني يا عم شبيكة؟ .. إنني مولود على يديك؟

- أنت كداب على فكرة .. ازاي واحد طويل وعريض زيك .. يتولد على ايدي؟ ده أنا شايل نفسي بالعافية!

ينظر شفيق بتعجب إليه، ويصمت الرجل قليلاً ثم يقول:

- آسف يا بني .. أنا تعبان شوية .. لازم امشي.

ثم يحدث نفسه بصوت منخفض:

- كده الموضوع مش هزار ولا حلم ولا سحر .. واضح أني عايش هنا من زمان .. أنا لازم أعرف ازاي ده حصل وليه؟ لازم يا عم شبيكة .... عم شبيكة! عم شبيكة مين! ايه اللى بقوله ده؟ هيه نقصاني؟

عاد إليه الشاب بعدما تحرك بعض خطوات صائحاً:

- هل تريد شيئاً يا عم شبيكة؟

فزع الرجل وصاح في الشاب:

- يا خربيت عم شبيكة ... امشي من وشي .. بدل ما خلي وشك شبيكة.

القرين

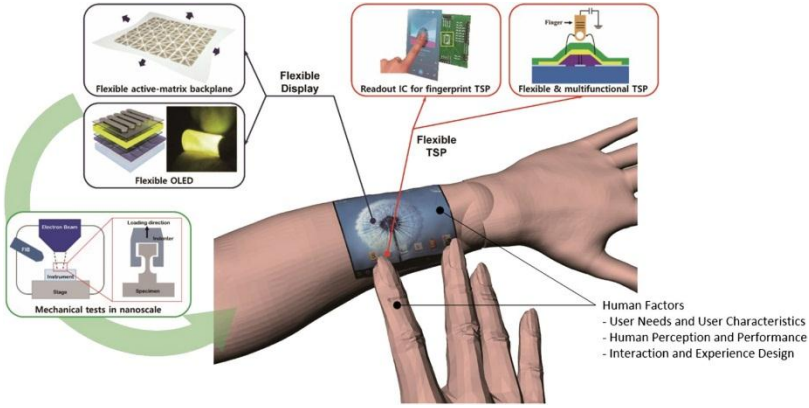

خرج مصطفى أو عم شبيكة إلى الشارع ليُفاجئ بأشكال وأشياء غريبة؛ كل شئ مختلف: السيارات، الشوارع، والمباني وكأنّه يعيش في المستقبل، فقال حائراً:

- كده الموضوع شكله قلب بجنان .. مش ممكن استمر كده .. لازم اعرف احنا في سنة كام وايه اللي بيحصل .. وفين أولادي ومراتي؟ وازاي عجّزت كده؟

قابل عم شبيكة أحد المارة في الطريق وهو شاب في الثلاثينات من العمر ذو قامة طويلة وكتفين عريضين؛ يبدوا أنه يمارس الرياضة بانتظام، وكان يسير مسرعاً، فسأله عم شبيكة وهو يمشي بجواره لأن الشاب لم يتوقف:

- لو سمحت هو احنا في سنة كام؟

- الساعة حالياً ١١ ثانية و٤٠ فونت.

عم شبيكة مبتسماً:

- لا .. لا أنا بسأل على السنة .. السنة .. year ؟ أصلي عاوز اضبط التاريخ في الموبيل!!

رد الشاب متعجباً:

- سنة! لقد تم الغاء قياس التاريخ بالسنة منذ فترة طويلة .. حالياً يتم قياس الزمن باليوم بدلاً من العام .. وبالثانية بدلاً من الساعة .. وبالفونت بدلاً من الدقيقة .. لقد توقع بعض العلماء نهاية العالم خلال ١٠٠ أسبوع من الآن تقريباً، نحن الآن لا نملك سنوات .. والوقت يمر سريعاً جداً .. هل أنت من كوكب آخر؟

عم شبيكة مازحاً:

- عرفت منين؟

فزع الشاب وزاد في سرعته قائلاً:

- ماذا؟

- لا أنا بهزر يابني معاك.

- آسف يا رجل .. لا وقت لدي للمزاح .. لقد تأخرت على ميعادي دقيقة وخمس فونت.

- بونت؟

- يا ربي .. قلت لك فونت ... فووووونت.

- يعني ايه فونت يا بني؟

- مرة أخرى؟ آسف يجب أن أذهب .. سأتاخر عن ميعادي .. سلام.

خطى الشاب خطوتين بعيداً عن عم شبيكة، ثم عاد بعد أن لفت نظره الهاتف المحمول في يده، والذي أخذه معه آملاً أن يشحنه، فتعجب وقال:

- ما هذا الذي في يديك هل هو اختراع جديد؟

رد عم شبيكة مفتخراً وهو يحدث نفسه:

- أخيراً فيه حاجة أنا أعرفها .. وحد ميعرفهاش..

ثم التفت إلى الشاب بصوت ملئ بالثقة:

- ده موبيل يا بني .. موبيل يا للى عامل نفسك عارف كل حاجة .. ايه عمرك ما سمعت عن الموبيل؟ .. ده جهاز عشان الاتصالات.

مد الشاب يده أمامه فظهرت شاشة هولامية رباعية الأبعاد في الهواء كأنّها جانّ، فتراجع عم شبيكة إلى الخلف خائفاً:

- ايه ده أنت بتحضر أرواح؟

- هذا هو القرين .. وهو يؤدي العديد من الوظائف .. ومنها وظائف الاتصالات التي تدّعي أن هذا الموبيل يقوم بها .. أعتقد أن الموبيل الذي تملكه هو الجيل الرابع .. بينما القرين هو الجيل رقم 120 من أجهزة الاتصالات.

عم شبيكة ساخراً:

- القرين؟! طيب ليه أنت عندك قرين وأنا لا؟

نظر إليه الشاب بغضب، فشعر عم شبيكة بالاحراج:

- بايخة .. بايخة جداً ..

ثم تحدث الشاب مع الشاشة الهولامية بكل جدية:

- أيها القرين ... برجاء إظهار صور أجهزة الاتصالات اللاسلكية منذ بداية ظهورها.

ظهرت فوراً علي الشاشة الهولامية صور أول جيل للموبيل؛ حيث جهاز ذو حجم كبير وأزرار كثيرة، ثم توالت صور الجيل الثاني والثالث وهكذا، بينما يقف الشاب مبهوراً:

- جيييييييييم .. إنه تحفة تساوي ثروة كبيرة .. إذا سلمته للمتحف ستحصل مقابله على 20 عملة ذهبية على الأقل.

على الفور انصرف الشاب، ووقف عم شبيكة في حالة من الذهول، يحدث نفسه:

- يمكن أنا دخلت في عجلة الزمن ورحت للمستقبل؟ طيب هي فين العجلة؟

ثم توجه بعينيه إلى السماء داعياً من قلبه:

- يا ربي أنا هتجنن .. أرجوك ساعدني ... فهمني ايه اللي بيحصل لي.

المسجد في ٢٠٥٥م

سمع عم شبيكة الآذان فنظر حوله، فإذا مسجد كبير أمامه، دفعه الفضول للاقتراب من المسجد ليتعرف على الجديد، فإذا به بالشكل المعتاد عليه للمساجد، وإن كان طرازه المعماري به من الابداع الكثير:

- الحمد لله .. فيه حاجة لسه زي ما هي .. أدخل أصلي ركعتين قضاء حاجة وأصلي الفريضة .. وأدعي ربي يساعدني يمكن يلهمني صوابي ويهديني.

دخل عم شبيكة المسجد في هدوء دون كلام مع أي شخص، وذهب ليتوضأ ثم صلي ركعتين، ورفع يديه إلى السماء قائلاً:

- يا ربي أنا مش معترض على شئ .. أنا واثق أن اللي بيحصلي ده هيكون خير في النهاية ... صحيح أنا مش فاهم الحكمة .. لكن متأكد أنك يا ربي لك في كل شئ حكمة .. وأنا محسن الظن بك أنك ستجعل اللي حصل لي خير .. يا رب العالمين ويا أرحم الرحمين .. أتوسل إليك يا ربي .. فأنا لم أضر أي إنسان عن عمد في حياتي.

أثارت انتباه عم شبيكة تلك الكلمة الأخيرة؛ "لم أضر أي إنسان عن عمد"، فقال:

- أنا فعلاً لم أضر أي إنسان عن عمد .. لكن هل ممكن أكون أذيت إنسان بدون قصد .. ويكون ده عقابي أو تنبيه لي عشان أصحح نفسي؟ أنا لازم أفكر كويس في كل حاجة في حياتي وأفتكر كل حاجة.

ثم جلس عم شبيكة يحدث نفسه بصوت لا يسمعه غيره وهو يقلب في صفحات الماضي لينظر ماذا يجب أن يصحّحه، ليأتي صوت إقامة الصلاة فيلبي النداء، وعقب الصلاة توجه الرجل – متردداً - إلى إمام المسجد وهو رجل في الأربعينات من العمر يبدو عليه السكينة والبشاشة بملامحه الرقيقة وملابسه البيضاء، اقترب عم شبيكة منه ببطء وهو يحدث نفسه:

- يا ترى ممكن الشيخ ده يفيدني في حاجة؟ .. عموما أنا مش هخسر حاجة لو كلمته .. لكن ... لكن ممكن يحرجني .... هو فيه احراج أكتر من اللي أنا فيه؟!

وبدون دخول في التفاصيل، بادر عم شبيكة الشيخ:

- السلام عليكم يا حضرة الشيخ .. ممكن سؤال؟

- تفضل يا أخي.

- هو حرام إن الانسان .. أقصد الأب يعني .. حرام أنه يهجر أو يهدد أولاده بالهجر .. وده طبعاً مش عشان هو وحش .. لكن لأنهم متعبين وكل محاولاته في اصلاحهم فشلت .. فقال يخوفهم شويه.

تنفس الشيخ نفساً عميقاً وابتسم ابتسامة خفيفة لتخفيف توتر عم شبيكة وليمنح نفسه فرصة للتفكير في الرد المناسب:

- ما هو اسم حضرتك؟

- هو هيفرق الاسم في الإجابة؟ .. عموماً اسمي ...

فكر قليلاً الرجل في اسمه، ثم قرر التعامل بالاسم الذي يناديه به الجميع:

- عم شبيكة.

- أهلاً يا عم شبيكة ... أنا أخوك الصغير توفيق .. والاسم لن يجعل الإجابة مختلفة ولكن ربما يجعل علاقتنا مختلفة .. فنكون أكثر لطفاً في حديثنا مع بعضنا البعض .. عم شبيكة.. لقد أمر الله نبيه الكريم عليه الصلاة والسلام بإبلاغ دعوته فقط وليس هداية الناس .. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: {إن عليك إلا البلاغ}، وقال له أيضاً: {فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً} ... وقال كذلك: {ليس عليك هداهم}.

- يعني يا حضرة الشيخ أفضل اتعب معاهم من غير مشوف منهم أي نتيجة كويسة ... مفيش استجابة منهم لكلامي خالص.

- وكيف تأكدت من ذلك؟ أنت ترى الظاهر فقط ولا ترى الباطن .. فكل كلمة تقولها تؤثر في الآخرين .. ربما لا يظهر فوراً تأثيرها ولكنه موجود ويظهر في الوقت المناسب .. عليك بالصبر عليهم وأما الحُكم فهو لله وحده .. هو الذي يحاكمهم ويكافئك على صبرك عليهم.

- صح .. عندك حق .. شكراً لحضرتك.

- عم شبيكة.. إن الغاية من هذا الدين هو حسن المعاملة بين الإنسان وبين ربه من ناحية وبينه وبين الناس من ناحية أخرى .. فالصلاة شُرعت كي تقرب الإنسان من

ربه وتسمو بروحه وبالتالي تسمو بطريقة معاملته مع الناس .. كذلك الصوم شُرع كي يتقرب الإنسان من ربه بالصبر على أوامره وكي يشعر بمعاناة الفقراء فيعطف عليهم ويرحمهم .. وأما الزكاة فطهارة للأموال وزكاة للنفس ولكي يكفل الغني الفقير ويرحمه .. وكذلك الحج فهو قمة التواصل وحسن المعاملة بين الناس .. يلتقي الناس من جميع دول العالم بلغات مختلفة .. من أجل هدف واحد وهو عبادة الله والتراحم بينهم ... فبالرغم من الزحام الهائل إلا أنك تجد بينهم تعاون وتراحم ... ولقد ضللت طريقي في يوم عرفة وأنا في الحج فقابلني رجل ظل معي أكثر من ساعتين وسط الزحام يساعدني ويحمل عني متاعي ... فلم أشعر بغربة ولا بوحدة وكأني أعرفه منذ فترة طويلة.

- شكراً لحضرتك .. وعندك حق في كلامك.

- العفو .. لكني ألاحظ أنك لا تتكلم اللغة الفصحى .. لماذا؟

- هو حرام اتكلم كده؟

ضحك الشيخ بوقار، ثم قال:

- لا بالطبع ولكن ..

- لكن ايه؟

- لا شئ .. لعله خير .. لا شئ.

سكت عم شبيكة ثم قام وخرج متأثراً بكلمات الشيخ توفيق.

البحث عن قرين

خرج عم شبيكة من المسجد يتذبذب بين الشعور بالراحة النفسية وبين الشعور بالحيرة؛ يفكر في ماضيه لأنه الطريق الوحيد ليعرف ماذا حدث له، ويفكر في مستقبله الغامض، وفجأة صاح بصوتٍ عالٍ أمام الجميع في الشارع:

- افتكرت عنوان بيتي .... لازم اروح حالاً واشوف أولادي ومراتي.

لم يلتفت إليه أحد على الاطلاق، فالجميع في الشارع يسيرون بسرعة ولا أحد ينظر أو يهتم إلا بنفسه. توجه عم شبيكة ليركب سيارة أجرة، فلم يشاهد أي سيارة أجرة؛ كانت السيارات كلها بلون واحد؛ شفافة كأنها من الزجاج، ولا يوجد سيارات أجرة على الاطلاق، انتظر كثيراً فلم يشاهد إلا نفس السيارة، ودب اليأس في نفسه:

- الظاهر أني هضطر أروح المشوار مشي .. لكن المشوار طويل .. ساعتين على الأقل .. وبالنسبة لي بعد ما عجّزت مش أقل من ٣ ساعات .. ايه الحل؟

فكر عم شبيكة ثم توجه إلى شخص يسير في الطريق فسأله:

- لو سمحت هو ... هما .. قصدي يعني فين سيارات الأجرة .. التاكسي يعني؟

بتعجب شديد وملامح غليظة وصوت حاد، صاح الرجل:

- تاكسي! .. ماذا يعني تاكسي؟

- السيارة الأجرة اللى بتوصل الناس وفيها عداد.

- كان ذلك منذ زمن بعيد يا سيدي .. لقد تم الغائها .. لكن يمكنك طلب ما تريد من خلال القرين.

فرد عم شبيكة عليه بتلقائية:

- ماذا؟

ثم همس لنفسه:

- هو لساني قلب ليه باللغة الفصحى؟ .. صحيح من عاشر القوم .. لكن أنا ملحقتش .. دي كلها ساعة زمن!

- هل تكلمني يا سيدي؟

- لا يا سيدي .. ولكن ماذا يعني القرين؟

نظر إليه الرجل بقلق شديد ثم تركه وانصرف بعيداً عنه دون أن ينطق بكلمة.

- آه افتكرت .. القرين... دي العفريت اللي طلع من ايد الشاب اللي قابلته من شويه .. لكن أنا مش معايه .... اعمل ايه؟

التفت عم شبيكة خلفه فرأى أحد المحلات وأمامها شاشات هولامية كبيرة عليها اعلانات، فتوجه إليه لعله يجد القرين فيشتريه. وقف عم شبيكة على باب المحل، وبعد تردد دخل وسأل البائع عن القرين:

- لو سمحت .. عاوز اشتري البتاع ده اللي اسمه القرين.

ضحك البائع بصوت مرتفع للغاية، ثم توقفت ضحكاته فجأة، وقال بصوت منخفض للغاية:

- القرين؟ ... القرين لا يُباع يا سيدي .. القرين يمكن الحصول عليه مجاناً من الوزارة .. ولكن له اجراءات للحصول عليه ... هو حضرتك بدون قرين حتى الآن؟ .. يبدوا أنك كنت تعيش في قمقم أو في مصباح علاء الدين السحري.

ثم ضحك البائع بصوت مرتفع جداً، فرد عليه عم شبيكة غاضباً:

- أنت بتقول الافيه وتضحك لوحدك عليه؟ ايه السماجة دي؟ دمك تقيل جداً.

- دمي ثقيل .. هههههه .. مزحة جميلة .. لكني لم أوزنه بعد ... هههه.

- أنا شكلي وقعت في مشكلة النهارده ومش هأخلص .. بص يا ابني .. "دمك ثقيل" مش مزحة زي مزاحك السخيف ... دي شتيمة ..

تلون وجه البائع ثم قال له:

- إن وجودك في البلاد بدون قرين خطر كبير!

- خطر! خطر ازاي يعني؟ .. أنا كنت عايش سنين طويلة بدون القرين ده .. صحيح أنا مش عارف كنت عايش ازاي ... لكن كنت عايش.

- ماذا تعني أنك لا تعرف كيف كنت تعيش؟

- مش عارف ... بحاول أفهم.

- وفقاً للقانون يا سيدي .. يجب أن يكون لكل مواطن قرين .. بدون القرين لا يمكنك فعل أي شئ ولا شراء أي شئ بأكثر من عشر عملات فضية أو عملة ذهبية واحدة .. لأنه لا يجب أن تحمل أكثر من ذلك في جيبك.

- معلش يا بني فهمني أكتر ..

- حسناً .. سأعرفك بعض المعلومات عن القرين لكن يجب الذهاب لوزارة القرين كي تعرف الخبر اليقين ..

- أنت ليه بتتكلم بالقافية كأنّك في ألف ليلة وليلة؟

البائع بحماس:

- ألف ليلة وليلة .. لقد سمعت عنها الكثير .. إنها رائعة .. هل شاهدتها بالفعل؟

- لأ .. لم أشاهدها ولن أشاهدها .. كفاية الليلة اللي أنا فيها ... ممكن تكمل الحدوتة .. قصدي المعلومة؟

يهيم البائع ويشرد بخياله وهو يقول:

- إن القرين هو شريحة يتم زرعها تحت الجلد مباشرة في الذراع الأيسر .. كي تكون قريبة من القلب والمشاعر والأحاسيس الرقيقة ..

- رقيقة ايه يا ابني! .. أنت اسمك ايه؟

- رقيق .. قصدي رفيق.

- ايه التشابه الغريب ده .. شفيق .. توفيق .. رقيق .. قصدي رفيق .. هيا الأسماء كلها آخرها قاف ولا ايه؟

- لقد تم وضع بعض القوانين الخاصة بالأسماء بعدما انتشرت الأسماء الغربية بيننا .. وذلك حفاظاً على هويتنا .. وتم وضع حوافز مالية لبعض الأسماء التي تنتهي بالقاف تشجيعاً لهذه الأسماء .. لأن الناس لا تهتم بها.

- معنى كده أني هتسجن بسبب اسمي .. طيب ممكن تكمل كلامك عن القرين .. ومتغيرش الموضوع.

- يا سيدي أنت من تقاطع وتسأل .. هل أخطأت لأني أجاوبك؟

- عندك حق .. تفضل كمل لو سمحت.

- حسناً .. يستمر القرين معك 7 سنوات ثم يتم تجديد الشريحة .. وهو يقدم لك كل المعلومات التي قد تحتاجها .. كما يقوم بالاتصال بينك وبين الناس وبينك وبين الشبكة النحلية ..

عم شبيكة مقاطعاً بغضب:

- لغاية هنا وكفاية .. شبكة ايه؟؟ نحلية؟؟ نحلية يا رفيق؟؟؟

- نعم ... أعرف أنك مصدوم فقد كانت تُدعى في القديم الشبكة العنكبوتية .. لكن الآن تطورت وأصبحت النحلية .. أليس النحل أفضل من العنكبوت ...

تعالت ضحكات رفيق كالعادة، ولكن عم شبيكة لم يهتز جفنه، وظل ينظر إليه بغضب حتى سكت رفيق تدريجياً وشعر بالإحراج، ثم قال:

- سيدي .. إن القرين يهتم بك في العمل والمال والصحة .. مثلاً إذا ارتفع ضغطك أو تدهورت صحتك لأي سبب فإنه يرسل إليك رسائل فورية للوقوف على حالتك الصحية .. كما يرسل التقارير الصحية للتأمينات الصحية وطبيبك الالكتروني.

نظر إليه عم شبيكة بغضب وقال:

- نفسي أعرف أن ليه بتقلب كده من الهزار السخيف للجد الشديد؟ .. أنت ليه معندكش وسط؟

- لدي وسط وظهر ورقبة .. هههههه

- أقسم بالله هأضربك.

- احمم احمم .. أي خدمة أخرى يا سيدي؟

- وايه الطبيب الالكتروني ده! هم لغوا الدكاترة الإنسية كمان؟

يُكّشر الرجل ويتكلم بحدة وهو ينظر إلى الشاشة الهولامية، بينما يقترب منه مديره:

- برجاء عدم المقاطعة يا سيدي ... لا وقت لك أكثر من 30 فونت وفقاً لبروتوكول البيع والشراء .. حتى أعطي كل عميل حقه في الاهتمام .. وإلا فقد تتسبب لي بالجزاء.

يهمس عم شبيكة:

- هو فيه ايه؟

نظر رفيق إلى مديره وكأّنه لم يره إلا في تلك اللحظة وابتسم وهو يقول:

- أي خدمة سيدي المدير؟

- ماذا يحتاج العميل؟

- إنه يريد جهاز جلب السعادة .. ولكنه قرر شراءه في وقت لاحق.

انصرف المدير بينما يستأنف رفيق كلامه:

- سوف أحجز لك سيارة من خلال قريني وعلى حسابي .. لتذهب بك إلى وزارة القرين لاتخاذ الاجراءات اللازمة ... ما هو اسمك سيدي؟

- بيقولوا عم شبيكة.

- سيدي .. موعدك بعد 4 دقائق من الآن .. ستأتي سيارة أمام المحل هنا حالاً.. انتهى الوقت المخصص لك .. بالتوفيق يا سيد "بيقولوا عم شبيكة".

توجه البائع إلى عميل آخر، بينما خرج عم شبيكة أمام المحل محاولاً استيعاب الموقف، وبعد ثوانٍ وقفت سيارة أمام باب المحل وظهرت عليها شاشة هولامية عليها صورة عم شبيكة، ومكتوب عليها "بيقولوا عم شبيكة"، ففرح الرجل جداً لرؤيته صورته بالحجم الطبيعي:

- دي صورتي .. ومكتوب عليها كمان اسمي .. لكن ايه الاسم الغريب ده! ... "بيقولوا عم شبيكة" ... ده اسمي الجديد ده ولا ايه؟ .. كملت .. كلاكيت تالت اسم.

توجه عم شبيكة إلى السيارة، ليفاجئ بأن بابها يُفتح تلقائياً، فركب ثم طلب من السائق الذهاب إلى تلك الوزارة الخاصة بالقرين، ولكنه صُعق بما رأى ...

السيارة في ٢٠٥٥م

ركب عم شبيكة السيارة، والتفت إلى السائق، ولكنه لم يستطع أن يطلب منه أي شئ لأنه لا يوجد سائق، لا يوجد سوى عجلة قيادة تتحرك وحدها! شعر عم شبيكة بالذهول، بينما فاجئه صوت باب السيارة وهو يُغلق تلقائياً قبل أن يلمسه! ثم سمع صوتاً يتحدث إليه:

- أهلاً وسهلاً سيدي .. وفقاً لحالة الزحام المروري الحالية ومسافة الطريق إلى وزارة القرين أمامنا 3 دقائق للوصول إلى الهدف، نتمنى لك وقتاً ممتعاً، يمكنك اختيار ما تحب أن تسمع من أغاني أو كتب مقروءة أو أي شئ تختاره.

ضرب عم شبيكة وجهه ضربة خفيفة ليتأكد أنه لا يحلم، ثم قال:

- أنا فعلاً صاحي ومش بحلم ... هو العالم تقدم للدرجة دي من امبارح ... طيب لو كنت في غيبوبة طوال الفترة دي .. ازاي كل ده حصل؟ ... وازاي محدش حس بيه .. ولا نقلوني لأي مستشفى؟

ظل عم شبيكة يحدث نفسه حتى وصل إلى جراج مبنى الوزارة، وعند دخول السيارة صاح جهاز الانذار:

- يُرجى الانتباه .. خطر من الدرجة الأولى .. يوجد إنسان بلا قرين.

ظل الانذار يتكرر حتى أوقفه أحد رجال الأمن، وطلب من عم شبيكة الخروج من السيارة، ولما رأوه رجلاً كبيراً في العمر، عاملوه بلطف، ثم ظهرت شاشة هولامية في شكل ورقة، وطلبوا منه التوقيع عليها بأنه لا يملك قرين، فاستنكر ذلك، وقال:

- كيف أوقع على الهواء ومن غير قلم؟

- فقط اكتب بإصبعك اسمك على الشاشة.

وقّع عم شبيكة بأصبعه على الشاشة، وعلى الفور تم توصيله إلى قسم الطوارئ بالوزارة.

وزارة القرين (الاتصالات سابقاً)

دخل عم شبيكة قسم الطوارئ، وجلس في غرفة بها أجهزة غريبة الشكل للغاية، وبعد فترة دخلت عليه طبيبة شابة جميلة قوام ممشوق، ترتدي ملابس للتعقيم، وتضع على رأسها قبعة أشبه بقبعة رجال الفضاء، ثم سألته:

- سيدي... ما هو اسمك وعمرك؟ أين كنت الفترة الماضية؟ لماذا لم تزرع القرين؟ وكيف كنت تعيش بدونه ... كيف كنت تتعامل في البيع والشراء والخدمات؟

رد عم شبيكة ساخراً:

- بسم الله الرحمن الرحيم .. الإجابة ... مش عارف! .. بيقولوا عم شبيكة .. لكن أنا فاكر أن اسمي/ "مصطفى أحمد منصور" .. وعشان متتحيريش قولي عم شبيكة .. أما عمري يا عمري ... فعندي 35 سنة .. قصدي 70 .. لكن روحي روح شباب.

- سيدي .. أفهم من كلامك أنك غير متأكد من هويتك .. اطمئن .. سنعرف كل شئ بعد دقائق قليلة بمجرد حصولنا على تقارير التحاليل الخاصة بك .. ثم نقوم بزراعة القرين لك ... لكننا نحتاج الآن منك إلى بعض البيانات ... فبدون القرين لا نستطيع التعرف على هويتك ..

ثم نظرت إليه الطبيبة متفرسة حالته، وقالت:

- سيد عم شبيكة.. هل تعرف في أي عام نعيش الآن؟

- ايـــــه سنة يا ستي ..... ٢٠١٩ .. صح .... ولا سيد قرين له رأي تاني؟

- سيدي ... نحن في عام ٢٠٥٥م ...

- طيب وأنتي اسمك ايه يا أمورة؟

تنظر إليه الطبيبة بابتسامة تعجب وهي تتفحص ملامح وجهه، ثم تقول:

- أنا دكتور مروة ... لكني متعجبة كيف أقول لك أننا في زمن غير الزمن الذي تعتقد أنك تعيشه ولا تستنكر ذلك؟

- هي جت على كام سنة؟ أنا من ساعة ما صحيت من النوم النهارده والدنيا كلها اتغيرت .. لازم أكبر دماغي شويتين .. بدل ما أتجنن.

- سيدي .. إنني ألاحظ فيك شيئاً غريباً .. كأنّك شاب ترتدي قناع عجوز ... كما أن قلبك قلب شاب في الثلاثين من عمره .. لولا أنني متأكدة من عمرك لقلت أنك متنكر.

زدادت كلمات الطبيبة عم شبيكة حيرة؛ هل هو بالفعل عجوز أم شاب، لكنه شعر بالارتياح تجاه هذه الشخصية، وحاول فتح حوار معها ليستمتع بكلامها المعسول وابتسامتها التي تشرح الصدر، قائلاً:

- بصي يا ينتي .. أنا ارتحت لك وهحكي لك حكايتي لكن .. خايف متصدقيهاش.

- ولماذا؟ هل ستكذب؟ .. احذر إذا كذبت سيرسل عقلك إشارات إلى الأجهزة توضح كذبك فوراً.

ثم تبتسم وهي تقول:

- تماماً كما أرسل إشارات أنك معجب بي.

يرتبك عم شبيكة وهو يرد عليها:

- ايه؟ ... هو القرين قالك كده؟

- سيدي .. القرين لا يستطيع أن يعطي معلومات عن مشاعرك تجاه الآخرين وإلا لحدثت مشاكل كثيرة بين الناس .. لقد علمت من خلال الأجهزة الموجودة في هذه الغرفة والتي تعمل على تحليل حالتك الصحية ... بدنياً ونفسياً وعقلياً ... وعاطفياً يا جدو.

نظر عم شبيكة إليها نظرة تعجب وغضب في ذات الوقت .. وحدث نفسه بصوت منخفض:

- جدو! ... لقد تغيرت الحياة كثيراً في ليلة واحدة ... يبدوا أنني أتيت إلى عالم خطأ.

- مبارك يا سيد عم شبيكة؟

- يعني ايه؟ وعلى ايه؟

- لقد بدأت تتكلم اللغة العربية الفصحى.

- أنتي سمعتيني ولا الأجهزة قالتلك؟

- لقد سمعتك تتحدث بصوت خافت ... لقد بدأ تأثير القرين على لغتك وتدريجياً ستتكلم الفصحى .. فالقرين يؤثر على خلايا المخ للتحدث بلغته الرسمية.

التفتت مروة إلى قرينها لترى الساعة، ثم التفتت إلى الرجل وهي متلهفة لسماع قصته، وهي متحيرة تنتظر أم تنصرف:

- سيد عم شبيكة هل ستحكي لي قصتك؟ لدي فقط من الوقت 120 فونت.

- أيوه طبعاً أنا مصدقت الاقي حد احكيله ... بصي يا حبيبتي.

- ماذا؟ هل أحببتني بهذه السرعة؟

- لا يا ماما مقصدش.

- أنا لست والدتك يا سيد عم شبيكة .. هل تعاني من مشاكل في التذكر؟

- تذكر .... آه .. أنا فعلاً عندي تذكر في المشاكل .. ممكن احكي بقى قبل ما تقولي الفونت خلص.

- تفضل.

- كنت أباً حازماً جداً .. ألوم أولادي على أي اهمال في حياتهم .. كنت أرغب أن يكونوا الأفضل ... لكني كنت أشعر بالاحباط كلما رأيتهم يلعبوا ولا يذاكروا ... وكنت أكثر احباط عندما خسرت بنتي ولم تتأهل لبطولة الجمهورية للسباحة ... كانوا بيحاولوا يرضوني ويبذلوا أقصى طاقتهم .. لكن للأسف لم يكونوا على مستوى طموحي فيهم ... كنت غاضب منهم طول الوقت ... لكن والله العظيم ده

عشان كنت بحبهم ونفسي يكونوا أحسن من الناس كلها .. ففكرت أهجرهم وأعيش مع نفسي ...يمكن يتغيروا لما أبعد عنهم.

لم تقاطعه مروة على الاطلاق حتى انتهي من حكايته، ثم قالت بابتسامة خفيفة:

- سيدي ... كيف يمكنك أن تهجر أولادك هكذا؟

- لم أهجرهم .. كل اللي فاكره أني نزلت من البيت وأنا غضبان وقلت لهم أني مش راجع تاني .. وأخدت شنطة صغيرة فيها ملابسي .. كنت بهددهم فقط وكنت ناوي أرجع بعد يومين .. ومش فاكر بعدها ايه اللي حصل .. غير أني صحيت النهارده على صداع شديد .. في بيت غريب .. ولقيت نفسي عجوز.

- بالنسبة لموضوع العجز سنجد تفسير علمي له .. أما بالنسبة لأولادك فأنت مثل الكثير من الآباء الذين يفشلون في حياتهم ويحاولوا تعويض الفشل في أولادهم .. ويطلبوا منهم المستحيل ... إن الاهمال مرفوض كما أن الطموح الزائد عن قدرات الإنسان يدمره ... خصوصاً إذا فقد الإنسان المعنى من وراء هذا الطموح وصار النجاح هدفاً في حد ذاته ... فما فائدة النجاح إذا كان الإنسان تعيساً؟

- ازاي يكون الطموح مدمر؟ وايه المشكلة أن النجاح يكون هدف يا دكتورة؟

- النجاح وسيلة لتحقيق السعادة ... فإذا لم يقد النجاح إلى السعادة بل قاد صاحبه إلى التعاسة فهو مرفوض ... أنت مثلاً خسرت أسرتك بسبب أنك أردت تحقيق

النجاح بشكل مثالي جداً .. في حين أن البشر معرضون للفشل .. وحتى أعظم الناس تعرضوا للفشل كثيراً ولكنهم استمروا حتى حققوا النجاح.

صمت الرجل وهو يفكر في كلام مروة ثم قام بتغيير الحوار حتى لا يعترف بخطأه:

- إنما اللي هيجنني ... ازاي أكون في عز شبابي .. وأصحى من النوم ألاقي نفسي عجوز!؟

- اطمئن سيدي سنعرف كل شئ قريباً.

- أنتم ليه بتتكلموا كده باللغة الفصحى؟ .. هوا يه اللى حصل ... فين اللغة العامية؟

- العامية ليست لغة يا سيدي إنما لهجة .. وكل مدينة لها لهجتها الخاصة .. حتى أن البعض لا يفهم لهجة البعض الآخر ممن يتكلم بنفس اللغة .. وحينما اخترع العالم المصري أحمد الباز جهاز القرين ... أصر ألا يعمل إلا باللغة العربية الفصحى اعتزازاً بلغتنا ولتوحيد الشعوب العربية وسهولة التواصل بينهم ... فالقرين يتلقى الأوامر بالفصحى فقط .. مما جعل العالم كله يتوجه لتعلم اللغة العربية ليستطيعوا التعامل مع الجهاز تماماً كما كانوا في الماضي يتعلمون الإنجليزية ... وصارت اللغة العربية أكثر لغات العالم تداولاً ... وأصر الباز على أن يصدر اتحاد الدول العربية بياناً يلزم فيه جميع الدول العربية بتكلم الفصحى في جميع الخطابات الرسمية وغير الرسمية وحتى في الأعمال الفنية ... وفي المدارس والجامعات استعادت اللغة العربية مكاناتها بفضل هذا الاختراع.

- طيب وعملتم ايه في الأغاني اللي بالعامية؟

- لقد اضطر أصحابها لتحويلها إلى الفصحى ... ومن لم يواكب التطور .. فقد مكانته ... مثلاً المطرب المشهور عمرو فؤاد قام بتحويل أغنيته الشهيرة إلى (لا تخافي لست ناسيك) .. وكذلك المطرب محمد دياب حول أغنيته الشهيرة إلى (أتذكرك يا من نسيتني).

- هو كل الأغاني عن النسيان ولا ايه! .. طيب بالنسبة لي في حد لسه فاكرني؟

ابتسمت مروة وانساقت في دندنة بعض الأغاني بكلماتها الجديدة وألحانها الراقية، فقاطعها عم شبيكة:

- عموماً .. اللغة العربية الفصحى لغة جميلة وراقية .. كفاية أنها لغة القرآن .. كلام ربنا ... والغريب الناس كانت بتفتخر باللغات الأجنبية .. لدرجة أن أغلب كلامنا مكانش له علاقة لا بالعامية ولا بالعربية .. كان خليط من الإنجليزي على فرنسي وشوية تركي وحبة ايطالي واسباني .. يعني كان كلامنا عبارة عن سلطة لغات ... طيب يا ستي وبالنسبة للموبيل ايه حكايته هو كمان؟

- هذه الكلمة لم أسمعها منذ فترة طويلة .. فكل هذه الأجهزة القديمة اندثرت فهي أجهزة ملوثة للبيئة ... وصار القرين يقوم بعمل عدة أجهزة مجتمعة معاً: الموبيل، الكمبيوتر، كروت الدفع الالكتروني، البطاقة الشخصية، رخصة القيادة ... كل شئ يخطر على بالك .. حتى أنهم يستخدموه في الاتصالات المشفرة بين أجهزة الأمن.

- للدرجة دي ... طيب والعربيات ايه حكايتها؟

رفعت الطبيبة يدها اليسرى، فظهرت الشاشة الهولامية ذات الأبعاد الرباعية في الهواء، وظهر عليها جدول أعمالها وتنبيه بوجوب التحرك فوراً إلى غرفة رقم 7 لمتابعة الحالة بها، فقالت بشكل حازم ووجه صارم:

- سيدي لقد كنت سعيدة بقضاء بعض الوقت معك ولكن يجب أن أتحرك حالاً .... يمكنك أن تتصرف وستعرف نتائج التحليل من خلال القرين .. والذي تم تركيبه لك أثناء الحوار ... نلتقي على خير.

- طيب ... مش هتعلميني ازاي القرين بيشتغل؟

- سيخبرك بنفسه كل شئ .. فقط أرفع يدك اليسرى وأطلب ما تريد.

- شكراً يا بنتي .. مع السلامة يا أمورة.

- سيد عم شبيكة .. ألم تلحظ خلال تلك الدقائق التي قضيتها معي أي شئ؟

- ألاحظ! .. طبعاً .. أنتي جميلة جداً .. يا ريت كنت لسه في شبابي .. خسارة.

- سيد عم شبيكة أنا لا أصلح أن أكون بنتك .. كما لا أصلح أن أكون حبيبتك ولا أي شئ سوى أن أكون طبيبة.

- ليه يا مروة .. أنتي مريضة؟

- إنني لا أمرض يا سيدي .. فأنا أقوم بالصيانة في وقتها.

- صيانة .. صيانة ايه لو مؤاخذة يا بنتي؟

غضبت مروة وقالت بحدة:

- يا للغباء .. لا تقل بنتي ... لقد أخرجتني عن هدوئي .. وربما يتم إعادة برمجتي من أجل ذلك.

- برمجتك! أنا كده قلقت .. مش فاهم .. فيه ايه؟

- إنني إنسان آلي .. يا سيدي.

- سيدي! وآلي؟ ده أنا اللي آلي آل..

- بالمناسبة لقد أظهرت التقارير أن اسمك الحقيقي هو مصطفى .. لكن بصراحة عم شبيكة يليق بك أكثر.

- عم شبيكة يليق بك أكثر! .. حتى الروبوت بيسخر مني .. ماشي يا دنيا .. ماشي.

ابتسمت الطبيبة الآلية مروة بينما تنصرف، وتركت الرجل في حيرة بين السعادة والألم، لا يدري أيفرح لأنه وجد من يتكلم معه، أم يحزن لوجوده في عالم غريب لا يعرف عنه أي شئ، ليس فيه سوى القرين والإنسان الآلي وأشخاص ليس لديهم أي وقت للحديث معه، ثم حدث نفسه:

- يعني يا ربي .. أخيراً لما لاقيت حد أرتاح له وبيفهم يطلع آلي .. طب ازاي؟ .. دي جميلة اوي .. عشان كده فرحانة ومبتسمة طول الوقت .. لو كانت إنسانة بجد

كانت رزعقتني قلم محترم .. لكن بصراحة الطبيبة الآلية دي .. عندها حق بخصوص أولادي .. لكن ايه الفايدة؟ ... كل شئ انتهى.

نظر عم شبيكة إلى يده اليسرى وحركها، فظهرت عليها الشاشة الهولامية، وسمع صوتاً يتحدث معه:

- في انتظار أمرك سيدي.

فزع عم شبيكة وقال بصوت ضعيف:

- أنت مين وبتتكلم منين؟

- سيدي الأمر غير مفهوم .. سيتم عرض قائمة الأوامر لتختار منها ما تحتاج.

ثم ظهرت قائمة بها بعض الكلمات: عرض بيانات – حجز سيارة أو فندق – دفع فواتير – الخ، بدأ الرجل يفهم الأمر بأن من يحدثه هو القرين، وأخيراً أصدر له أمراً بكل فخر وكأنّه رئيس مجلس إدارة أكبر شركة في العالم:

- أيها القرين ... عرض بيانات .. أريد عنوان بيتي.

بالفعل ظهر العنوان على خريطة هولامية قام القرين بعرضها، ثم سأله القرين عن رغبته في طلب سيارة للذهاب إلى هذا المكان، فذُهل عم شبيكة ودفعه الفضول للرد سريعاً:

- ايوه طبعاً .. أخيراً .. الحمد لله يا ربي .. بسرعة يا عم القرين ..

- عفواً سيدي الأمر غير مفهوم .. برجاء التحدث باللغة العربية الفصحى.

- آه حاضر حاضر .. من عيوني .. أنت تأمر يا وش السعد .. أيها القريـــــــن أريـــــــد سيـــــــــارة.

- عفواً سيدي لكنك لا تملك حساباً لدفع قيمة الأجرة .. عليك أولاً امتلاك حساب .. ويمكن ذلك من خلال وزارة الذهب .. فلتذهب إليها الآن.

ثم ظهرت خريطة تشير إلى اتجاهات مبنى وزارة الذهب.

وزارة الذهب

لم يفهم عم شبيكة ما هي وزارة الذهب، إنما استسلم لتعليمات القرين الذي لا يقبل مناقشة تعليماته. وصل عم شبيكة إلى وزارة الذهب، والتي تجاور وزارة القرين مباشرة، فجميع الوزارات تجاور بعضها البعض. كانت الوزارة عبارة عن مبنى صغير، فكل شئ مبرمج وآلي، ولا يوجد إلا عدد قليل من الموظفين، ولا يوجد أي مواطن في قائمة الانتظار، وبمجرد مروره من الباب نادى عليه نداء آلي:

- السيد مصطفى يتوجه إلى الشباك الأمامي مباشرة.

بدأ عم شبيكة يستوعب تدريجياً التطور التقني الحديث، ويتفاخر بمجرد فهمه للأمر الالكتروني، وكأنّه حقق انجازاً يستحق الثناء عليه، فهو الآن رجل يعيش في المستقبل. توجه عم شبيكة إلى الشباك، وكانت تقف خلفه امرأة في الأربعينات من عمرها، وبالرغم أن ملامحها يبدوا عليها الحزن، إلا أنها قابلته بابتسامة ودودة كأنها تقابل صديق قديم لها، ثم قالت له:

- سيد مصطفى .. لقد طلبت من خلال القرين قرضاً لزوم نفقاتك .. لكنك لم تحدد قيمته بعد .. كم تريد؟

لم يرد عليها الرجل وظل يتفحص ملامحها، ثم مد يده ووضعها على وجهها يتحسسه، ففزعت المرأة ورجعت للخلف وصاحت فيه:

- انتظر .. ماذا تفعل! .. هذا مخالف للقانون.

- ليه؟ هو القانون بيجرم اللي يلمس روبوت؟ اطلعي من دول .. أنا عارفك ..

- سيد مصطفى .. لست إنساناً آلياً .. أنا لحم ودم مثلك تماماً .. أفرح وأغضب ..

- عادي يعني .. مروة كانت بتغضب وتضحك وكل حاجة .. كفاية غفلتوني مرة واحدة .. المؤمن لا يُلدغ من جحر مرتين.

- إذا لم تصدقني فانظر في عيني .. ستعرف إذا كنت إنساناً آلياً أم بشراً؟

نظر عم شبيكة في عينيها ذات اللون العسلي الفاتح، والتي تحوي الكثير من الكلام والمشاعر، فأدرك أنها لا يمكن أن تكون من صناعة إنسان، إنما هي عيون بشرية حقيقية، وأن التقنيات الحديثة مهما أبدعت وابتكرت لا تستطيع مضاهاة ابداع الخالق العظيم، فأعتذر لها، ثم أستأنفت المرأة حديثها معه:

- بخصوص القرض .. لم تحدد قيمته .. على أي حال لأنك لم تملك القرين إلا منذ فترة قصيرة جداً ... فيمكن منحك قرض ب 10 عملات ذهبية فقط أو ما يعادلهم من العملات الفضية.

ابتلع عم شبيكة لعابه، وبرقت عيناه، وصاح:

- كام؟ 10 أوقية ذهبية وفقط .... والأوقية دي تسوى كام جنيه؟

- جنيه! لا أعرف حقيقة .. لكن الأوقية بها 20 جرام تقريباً من الذهب ولأنك تعيش وحدك - كما يتضح من بياناتك على القرين - فيمكن أن تكفيك 20 أسبوع،

ثم يمكنك طلب قرض آخر بعدها بشرط أن تكون أحسنت إنفاق القرض الأول والتزمت بعملك.

- قصدك أحسنت سداد القرض!

- بل إنفاقه .. فالعبرة أن تحسن إنفاق المال فيما خُصص له .. فهذه الأموال ستدور وتعود في النهاية مجدداً إلى وزارة المالية ... وذلك من خلال شرائك لاحتياجاتك إذا أنفقتها بطرق إيجابية .. ومع التزامك بعملك يتم خصم القرض تلقائياً وتدريجياً من مرتبك.

- لكن أنا لا أعمل .. وكمان أكيد الفوائد هتزود قيمة القرض.

- الدولة لا تحصل من مواطنيها على فوائد .. فهذا حقك كمواطن بلا عمل .. أن تحصل على قرض حسن حتى تقوم بعمل ما ... وبخصوص العمل فهناك وظيفة بسيطة تنتظرك وتناسبك ... لقد اقترحها لك البرنامج الالكتروني للوزارة .. وهي وظيفة معلم ومربي أطفال يتامى .. تعلمهم القيم والأخلاق الطيبة .. وستحصل على مرتب مناسب .. وستكون إقامتك في دار الأيتام.

- مربي!؟ .. أنتي متعرفيش أن دي أكثر حاجة بكرهها تربية الأولاد ووجع الدماغ .. مفيش حد بيسمع الكلام .. ما هو ده سبب مشاكلي مع مراتي وعيالي .. وعشان كده هددتهم امبارح بهجرهم.

- امبارح؟! لا أفهم ... سيدي ... أولادك الآن هم رجال وسيدات كبار ... منهم من صار طبيباً و...

تغير وجه مصطفى بمزيج من مشاعر اللهفة والقلق، وقاطع حديثها سريعاً:

- أنتي تعرفيهم؟ ... هم فين؟ وأوصلهم ازاي؟ .. قولي اتكلمي .. أنتي ساكته ليه؟

- سيد مصطفى لقد عرفتهم من خلال القرين الذي عرفهم من جيناتك الوراثية، والتي أظهرت أن لك أبناء وبنات في وظائف مرموقة .. والآن يمكنهم التواصل معك من خلال القرين إذا أرادوا.

بصوت منخفض وقلب مسكور قال الرجل:

- إذا أرادوا! تقصدي أنهم مش عاوزين يكلموني؟ طيب أنا ممكن أتواصل معهم زي ماهُما يقدروا يتواصلوا معي؟

- طبعاً سيدي ولكن هذا يتوقف على مدى قبولهم للتواصل معك ... فحينما تبدأ بالتواصل معهم يخبرهم القرين أن هناك اتصال من جهة جديدة ويمدهم بمعلومات كاملة عن المتصل ... فإذا قبلوا وإلا لن تستطيع التواصل معهم مرة أخرى .. وربما تتعرض للعقوبة إذا حاولت كثيراً.

- تقصدي يعملوا لي بلوك يعني؟

- بلوك؟ ما هو البلوك؟

- مش مهم ... طيب ومراتي عايشة؟

- لا أعرف سيدي .. لكن إذا استطعت التواصل مع أبنائك .. من المؤكد أنهم يستطيعوا إفادتك.

ثم بصوت منخفض تقول السيدة:

- سيد مصطفى ... ممكن سؤال؟

- بالطبع .. قصدي ايوه ... لغبطوني.

- أين كنت الفترة السابقة سيد مصطفى؟ ولماذا تعيش منعزلاً عن العالم؟

- وازاي عرفتي أني منعزل؟

- وجودك سنوات طويلة بدون قرين يدل على أنك كنت منعزلاً .. فأين كنت؟

- كل اللي أنا فاكره .. أني اتخانقت مع أسرتي وأخدت شنطة صغيرة فيها ملابسي .. وخرجت أشوف مكان أهدي فيه أعصابي يومين .. ومش عارف ايه اللي حصل بعد كده .. فجأة صحيت من النوم لاقيت نفسي عجوز وعايش في بيت غريب والناس بتقولي عم شبيكة .. والدنيا كلها اتغيرت.

- لكن لماذا هجرت بيتك .. بينما أولادك أمانة في رقبتك لا ينبغي أن تتخلى عنهم مهما حدث؟

- فيه آباء كتير بيعملوا كده مش بس أنا؟

- هل تبرر خطأك بأن الكثير مثلك؟ هذا أسوء من الخطأ نفسه .. ألا تعرف أن الحديث الشريف يقول: "كفى بالمرء إثما أن يُضيع من يقوت"؟

- يعني ايه؟

- إن الأب الذي يضيع عياله .. قد ارتكب ذنباً من أكبر الذنوب.

- أنا كان نفسي يكونوا أحسن ناس في الدنيا .. ولكن شعرت بالاحباط بسببهم.

- وبالنسبة إلى زوجتك .. ما ذنبها؟

- هي كمان كانت مهملة في حق نفسها وفي حق أولادنا.

- سيدي .. إنك تذكرني بقصة نبي الله يونس عليه السلام مع الفرق بالطبع بين مقام النبوة ومقامنا نحن؟ هل تعرفها؟

- آه طبعاً .. أنا عارف كل القصص .. لكن مش فاكرها اوي .. ممكن تفكريني بأول جزء منها .. وأنا أكيد هاشبك في بقيتها.

- هتشبك! .. يبدوا أن هذا هو سبب اسم شهرتك في المنطقة التي تسكن فيها.

- أنتي عرفتي منين؟ .. القرين أكيد ... القرين ده مش بيتبل في بقه معلومة! ما علينا نرجع للقصة .. فكريني بأول جزء وأنا على طول ..

- هتشبك في الباقي ... حاضر سأخبرك بأول جزء منها .. كان يونس عليه السلام يدعوا قومه إلى الحق والعدل وعبادة الله ... فلما ملّ منهم لعدم استجابتهم له .. هجرهم دون أن يستاذن الله تعالى وسافر ...

- ايوه .. صح .. سافر ... بدأت أفتكر .. وبعدين؟

- بعدين! ... ركب يونس عليه السلام سفينة فهاج البحر .. فتقارعوا ووقع الاختيار عليه عدة مرات ... فاضطروا إلى القاءه في البحر .. فابتلعه الحوت.

- مش ممكن .. حوت ابتلع نبي الله عليه السلام .. وبعدين؟

- يبدوا أنك لم تشبك بعد في باقي القصة سيد شبيكة! ... ما علينا.. لقد ابتلعه حوت ضخم فمكث في بطنه فترة ... ولكن يونس عليه السلام ظل يستغفر الله حتى أخرجه تعالى من بطن الحوت ورجع إلى قومه وظل يدعوهم إلى الحق حتى استجابوا جميعاً.

يتنحنح عم شبيكة قليلاً ويقول بصوت مرتعش:

- أنا فعلاً غلطت .. مكانش لازم أفكر أبداً بهجرهم.

- سيد مصطفى أو شبيكة أو أياً كان الاسم الذي تفضل أن أناديك به ...

- شبيكة ... شبيكة قريب من قلبي .. زيك تمام ... قصدي زيك ما أنتي قريبة وواقفة جنبي يعني .... هو حضرتك اسمك ايه؟

- احم احم .. سارة .... سيد شبيكة طالما أنك شعرت بالذنب فأمامك الفرصة لتصحح خطأك.

- موافق .. موافق تماماً يا سارة .. ومستعد أصحح أي حاجة تقولي عليها .. سارة تؤمر وشبيكة ينفذ يا أحلى سارة .. قصدي .. أحلى موظفة في الوزارة .. في شغلها يعني واهتمامها بالمواطن.

- شكراً على المجاملة سيد شبيكة ... وبالنسبة إلى سؤالك لتصحيح خطأك ... فمن خلال وظيفتك الجديدة يمكنك ذلك .. عليك البدء بالعمل من الآن .. وسيخبرك قرينك عن كافة التفاصيل .. والآن أصبح لديك رصيد لتستأجر سيارة .. فوفقاً للبيانات التي أظهرها القرين أنك حاولت ولم تستطع لعدم وجود رصيد لك.

- هو ايه حكاية الذهب ده كمان يا سوسو؟ الفلوس راحت فين؟ الفلوس .. العملة الورقية يعني!

- يعني ايه سوسو؟

- ده مجرد اسم دلع .. يعني واحدة جميلة وجذابة زيك .. لازم تدلع.

- شكراً على المجاملة .. بالنسبة للعملة الورقية فقد أساءت بعض البلاد استخدامها عن عمد ... مما جعل دولاً غنية جداً ودولاً فقيرة جداً .. فاضطررنا للتعامل بالذهب من جديد للسيطرة على الاقتصاد .. فالقيمة الحقيقية للعمل والإنتاج وليس لورق يُطبع من قبل دولة أو عدة دول تسيطر على اقتصاد العالم بعملتها ... لذلك عاد الذهب مجدداً كعملة موحدة بين جميع بلاد العالم .. لا فضل لدولة على أخرى

... ولقد مكننا اختراع القرين من الحصول على كميات كبيرة من الذهب مقابل بيعه للعالم كله ... وأصبحنا من أغنى دول العالم.

- كلام غريب ولكن أنا حاسس أنه صح ... طيب استأذنك اطلب السيارة واروح أشوف أسرتي قبل ما أستلم العمل ...

ثم بعجرفة وفخر نادي عم شبيكة بصوت مرتفع على القرين وكأنه يأمر عفريت الفانوس السحري:

- يا قريني .. أنا عاوز تاكسي ده لوقتي حالاً.

رد القرين بصوت يشعر بالملل:

- عفواً سيدي .. مرة أخرى انبهك .. يجب التحدث باللغة العربية الفصحى.

- احم احم .. طيب حاضر ...

- عفوا سيدي برجا..

- أنا لسه قلت حاجة .. "أيها القرين .. أريد سيارة أجرة".

- عفواً سيدي .. يجب تحديد الاتجاه.

- أنا اتخنقت منك .. أنت تنفذ طلباتي وأنت ساكت.

تضحك سارة ضحكة خفيفة وتحاول اخفائها من الخجل، فيرد القرين:

- عفواً سيدي ..

يقاطعه عم شبيكة:

- برجاء التحدث باللغة العربية الفصحى.

- نعم سيدي .. فقد مللت من عدم استجابتك للتعلم .. إنك بطئ الاستجابة جداً.

- أنت فاكر نفسك ولي أمري ولا ايه؟ ... ماشي ماشي ... "أيها القريـــــــن .. أريد سيارةً أجرةً إلى بيتي".

- مبروك سيدي ... أخيراً تكلمت بالفصحى .. فعلاً التكرار يعلم الشطار .. لكن يجب أولاً أن تذهب إلى دار الأيتام محل عملك الجديد.

- أنت هتعرفني شغلي ولا ايه؟ تباً لك أيها اللعين.

- سيدي .. السباب ممنوع .. لقد فقدت للتو خمس جرام ذهبية.

- ماذا؟ ... حاضر حاضر سيدي القرين .. ولكن لماذا لا نذهب إلى بيتي أولاً ثم نتجه إلى العمل؟

- حان وقت العمل الآن سيدي.

ثم توجه مصطفى بنظرة مودة وامتنان للسيدة وقال لها:

- بالحق أنتي اسمك ايه؟

ابتسمت المرأة وهي تشير إلى اسمها المكتوب على كارت معلق على قميصها:

- لحقت تنسى؟ .. هذا هو اسمي.

ثم أخرجت قلماً، وجذبت يده برفق، وكتبت عليها "سارة"، وانصرف عم شبيكة وهو ينظر إليها بتودد شديد ويحدث نفسه:

- هي ليه مش عاوزه تقول اسمها؟ يمكن نسيته؟ ... إنما اللي هيجنني ... ازاي أكون في عز شبابي .. وأصحى من النوم ألاقي نفسي عجوز!؟

دار الأيتام

يتوجه مصطفى إلى دار الأيتام وهو حائر يحدث نفسه أثناء انتقاله في السيارة:

- يا ترى الأيام اللي جايه مخبيالي ايه؟ هكون سعيد في دار الأيتام ولا؟ ويا ترى أولادي هيكلومني ولا ايه؟

- عيالي! .. أنا لسه بقول عيالي؟ دول كبروا دلوقتي وبقوا في مراكز محترمة ... لكن ازاي .. دول كانوا فشله طول عمرهم .. مش بيذاكروا ولا بيهتموا بحاجة غير اللعب؟

- عُمْر ايه يا ابني؟ دول كانوا عيال صغيرة .. الظاهر أني ظلمتهم واستعجلت في الحكم عليهم.

- لكن أنا كنت خايف يفشلوا... كنت قلقان جداً عليهم.

- الظاهر أني عملت زي الدبانة اللي جات تهش الدبة من على صاحبها قتلته!! قصدي الدبة اللي قتلت الدبانة!! أنا مالي متلخبط كده ليه؟

- إنما اللي هيجنني ... ازاي أكون في عز شبابي وأصحى من النوم عجوز؟

- أكيد التقارير الطبية هتساعدني وتعرفني ايه اللي حصل .. طيب اشوف الأول دار الأيتام وبعدين أراجع التقارير مع عم القرين.

يدخل مصطفى دار الأيتام ويتلقى رسالة آلية للترحيب به كأب ومعلم جديد للأيتام، ثم أمر بالتوجه إلى غرفة مدير الدار لتلقي التعليمات. يدخل مصطفى غرفة المدير فلا يجد أحداً، فيقول:

- أكيد المدير روبوت زي بنت المشين مروة ..

مرة أخرى يسمع رسالة ترحيب به في مكتب المدير، وأن المدير سيوافيه عقب استماعه إلى تعليمات وقوانين دار الأيتام بعد 100 فونت، ثم يدخل المدير، فيلتفت مصطفى حوله ليرى رجلاً في آخر الثلاثينات من عمره؛ طويل ونحيف وحاد الطباع يدخل عليه ويبادره:

- أنا حازم مدير الدار .. وهي من أفضل دور الأيتام في البلد .. لأنها تتبع أحدث طرق التربية والتعليم .. لقد اخترت هذا العمل عن اقتناع بقيمته وأهميته .. كان أمامي وظائف مرموقة كثيرة ولكني كنت يتيماً وأدرك هذا الشعور جيداً .. فقررت مساعدة اليتامى لأني أفهم معاناتهم .. أما بخصوص العمل فإننا هنا نعين مشرفين من كبار السن خصوصاً هؤلاء الذين ليس لهم أولاد أو هجرهم أولادهم.

يشرد ذهن مصطفى ويحدث نفسه بصوت مرتفع قليلاً، وقد ظهر عليه التأثر:

- ولو كان الأب هو من هجر أولاده .. كنتم هتعينوه ولا لأ؟

- لا لم نكن لنعيّنه .. إلا إذا شعر بالندم وأراد أن يصحح خطأه .. والآن نبدأ العمل .. لديك 3 أيتام أنت مسئول عنهم .. عليك أن تهتم بهم وتعمل على ترقية مستواهم

العلمي .. سأقوم بتعريفكم على بعضكم البعض .. وسأخبرك بأفضل الطرق للتعامل معهم وتعليمهم.

- رائع .. أنا متحمس للبدء.

- ها أنت تتكلم الفصحى؟ رائع .. أنت تتعلم سريعاً.

- في الحقيقة القرين هو اللي بيجبرني على كده .. أنا ليس لدي مشكلة أتكلم بالفصحى .. ولكنها مسألة تعود ... وشكراً يا بُني على اهتمامك ..

- يا بُني!؟ ... لماذا تقول هذه الكلمة؟

- أبداً لكن .. كنت أتمنى ابني يكون مثلك.

يتبادل كل من عم شبيكة وحازم بعض النظرات التي تختلط فيها مشاعر المودة والارتياح، ثم ينتقل عم شبيكة إلى قاعة كبيرة يلتقي فيها بالأولاد.

التعليم بالحُب

لم يكن هناك الكثير من الأولاد في الدار؛ فقام حازم باسناد مسئولية ثلاثة أولاد فقط إلى عم شبيكة، وأحضرهم ليتعرف على بعضهم البعض، فبادر عم شبيكة بسؤالهم عن أسمائهم:

- اسمك ايه يا حبيبي؟

- كريم.

- يا كريم يا رب ... وأنتي يا أمورة اسمك ايه؟

- اسمي سلمى.

- اسم عربي أصيل وجميل .. وأنت يا كلبوظة اسمك ايه؟

- ماذا تعني كلبوظة يا سيدي؟

- ايه؟ .. لأ .. ولا حاجة .. آسف .. اسمك ايه يا جميل؟

- رشدي.

- أسماء جميلة: كريم وسلمى ورشدي .. وأنا اسمي مصطفى ... وممكن تقولوا لي عم شبيكة.

كريم: أهلاً وسهلاً يا عم شبيكة .. نرجوا أن نكون عند حسن ظنك .. لقد اطلعنا على بعض البيانات عنك .. وعلمنا أنك قليل الصبر على تعليم الصغار.

- لا .. ده كان زمان .. زمان اوي .. أنا الآن بصبر وبصبر وبصبر كمان .. وهأقولكم حاجة مهمة اوي؟ .. عارفين هي ايه؟

رشدي: سيدي .. بعض كلماتك لا نفهمها .. لقد حاولنا ايجاد برنامج لتعلم اللهجة التي تتكلم بها .. لكنها برامج قديمة لم تعد تعمل على النظم الحديثة .. أرجوا أن تتمهل وأنت تتكلم كي نفهم.

- حاضر يا سيد رشدي .. واضح أنكم مش محتاجين مُعلم .. كل المعلومات اللى أنتم عاوزنها بتلاقوها في ثواني .. لكن أعتقد أنكم محتاجين حد يمنحكم اللى ميقدرش القرين يمنحه لكم .. عارفين هو ايه؟ .. الحب.

سلمى: الحب هو شعور رائع سيدي .. فقد قرأت عنه .. حيث يستمتع الإنسان بصُحبة إنسان آخر ويكونا سعيدين بالحديث معاً.

- ليس فقط وهو معه .. فحتى لو كان في مكان آخر .. يظل حبه داخله يستمتع به .. يُكلمه كأنّه يراه .. يشعر به .. يسمعه .. كأنّه جزء منه أو روح تعيش داخل روحه.

يتدخل حازم في الحوار، ويقول:

- سيد مصطفى .. هذا كلام ربما يصعب عليهم فهمه .. والكلام في الحب غير مناسب لعمرهم.

- يا سيد حازم .. هذا كلام لا يحتاج من يفهمه .. هذا كلام يحتاج من يشعر به .. والشعور ليس حكراً على عمر معين .. فهناك أشكال كثيرة للحب ... حب الأب والأم والإخوة والأصدقاء ..

سكت حازم، وانتهى الحوار، وبدأ عم شبيكة في رحلة تعليم ممزوجة بروح الحب والمودة لهؤلاء الصغار، ويبدوا أنه كان يعوّض مشاعره التي افتقدها تجاه أولاده، فكان يجلس معهم بعد الوقت الرسمي للعمل والانتهاء من الدروس، يتسامر معهم ويقص عليهم قصصه التي لا تنتهي ... واستمر على هذا الحال عدة أيام، حتى جاء يوم دخل عليه حازم، وقال له:

- سيد مصطفى .. لقد كنت رائعاً مع الأولاد خلال الأيام الماضية ومن حقك الحصول على اجازة اليوم لمدة 4 ساعات .. فكيف تنوي قضائها؟

- أربع ساعات! ... يعني .. ممكن أسافر أوروبا .. اطلع برج ايفن .. وممكن اخطف نفسي للهند .. أتمشى على سور الهند العظيم .. وبعدين وأنا راجع اعمل شوبنج في الخليج.

- عظيم .. أتمنى لك رحلة ممتعة .. ولكن يُرجى تصحيح معلوماتك .. فالبرج يُدعى ايفل .. والسور يُدعى سور الصين العظيم!

نظر عم شبيكة بتعجب إلى حازم وظن أنه يسخر منه بالمقابل، لكنه كان جاداً، فصاح:

- أنت عاوز تجنني؟ .. أنا محتاج أربع أسابيع عشان أعمل الرحلة دي.

لأول مرة يضحك حازم ثم يقول:

هل تظن أنك ستسافر بالطرق القديمة من خلال تلك الآلآت التي تُدعى الطائرات؟ لقد انتهى عصر الطائرات .. الآن نسافر عبر صواريخ عابرة للقارات يمكنها السفر 1000 كيلو خلال 3 دقائق فقط ... ويمكنك حجزها من خلال القرين. رفع عم شبيكة يده اليسرى وهو يصيح:

- الله يخربيت القرين ده ... هو كل حاجة القرين؟

فجأة تحدث القرين:

- سيد مصطفى .. لقد قمت بالسباب وستتعرض للعقاب بخصم 10 جرام ذهب.

على الفور أخفض مصطفى صوته وهمس إلى حازم:

- هو كل حاجة القرين ده بيسمعها؟ .. هو سامعني الآن وأنا بكلمك؟

- سيد مصطفى .. إنه مزروع تحت جلدك .. ومسجل به قائمة بالكلام البذئ الممنوع الحديث به .. وليس هناك إلا حل واحد.

مصطفى متلهفاً: ايه هو .. قول بسرعة؟

- الموت .. أو أن يحدث لك حادث مروع .. فيضطروا إلى إزالة القرين لإجراء جراحة لك .. أو قطع ذراعك الأيسر .. أو ..

- كفاية .. بجد اتحفتني بأفكارك .. خلاص .. خليه .. القرين ده حبيبي ... سامعني يا قرين يا حبيبي .. أنا بحب القرين أوي ...

- لن يرد عليك إلا إذا رفعت يديك اليسرى.

- مش مهم .. مش عاوز منه حاجة ... إنما اللي هيجنني ... ازاي أكون في عز شبابي .. وأصحى من النوم ألاقي نفسي عجوز!؟

البحث عن الأسرة

توجه عم شبيكة إلى بيته ليرى أسرته، بعد أن اعطى أوامره إلى القرين باستدعاء سيارة، لم ينسى عم شبيكة عنوان بيته، كان محفوراً في ذاكرته، لكنه لم يفهم لماذا كان يعيش في بيت آخر لا يذكر عنه أي شئ، وحينما وصل وجد امرأةً غريبة تسكن في بيته، فبادرها:

- حضرتك مين وفين أولادي؟

- أنا من يجب أن يعرف من أنت؟ وماذا تريد؟

- أنا مصطفى .. كنت مسافر من كام سنة .. ورجعت اليوم ... فين مراتي؟ .. فين أم حازم؟

- أم حازم! .. لقد تركت هذا المنزل منذ عدة سنوات.

يصمت عم شبيكة ويشعر بالحيرة؛ ثم يقول بصوت منكسر:

- الباب الوحيد اللي كان عندي أمل فيه اتقفل في وشي ... كده ضاعوا مني.

- ما هذا اليأس يا رجل! ... توكل على الله يجعل لك مخرجاً ..

- عندك حق ... عموماً فيه أمل أخير .. القرين .. سأبحث عن بياناتهم وأتصل بهم.

- بإذن الله تجدهم .. لا تحمل الهم.

- أنا مش شايل الهم ولا حاجة ... إنما اللي هيجنني ... ازاي أكون في عز شبابي وأصحى من النوم عجوز؟

حاول عم شبيكة العثور على بياناتهم، ولكن القرين لم يمنحه أي معلومات عنهم، بالرغم من توافر بيانات جميع المواطنين عليه، إلا أنه احتراماً لخصوصية المواطن، لا يمنح معلومات عن مواطن آخر.

عم شبيكة المتمرد

يعود عم شبيكة إلى دار الأيتام ويستمر في الإشراف على الأولاد ومتابعتهم بكل اهتمام وبكل حب، ولكنه لم يكن يركز كثيراً على تعليمهم الأخلاق بقدر ما كان يركز على منحهم الحب الذي لم يستطع منحه لأولاده بالقدر الكافي، فكان يقضي وقتاً طويلاً في اللعب معهم ويشاركهم الطعام على مائدة واحدة، وفي يوم ما دار بينه وبينهم هذا الحوار:

كريم: عم شبيكة .. أشعر أنني لم أعد بنفس المستوى العلمي الذي كنت عليه.

سلمى: أنا أيضاً ... أخاف أن أرسب في الامتحان.

رشدي: إننا نقضي وقتاً طويلاً في اللعب .. ولو رسبنا سنُطرد من الدار .. وهي أفضل مكان يؤينا ... فهي تمنحنا طعاماً رائعاً ومكاناً مريحاً للنوم .. كما أن الحديقة بها رائعة.

عم شبيكة: عندكم حق .. العلم مهم جداً ... لكن الحياة ليست فقط علم ومعرفة .. أنا أول ما جيت هنا لاقيت المشاعر بينكم جافة .. مفيش احساس .. فكرتوني بنفسي زمان ... كان كل همي مع أولادي أنهم ينجحوا فقط ... من غير ما أفهم هما بيحبوا ايه .. لم أكن مهتم بمشاعرهم .. لكني اتغيرت وفهمت الحياة صح ... بدون حُب الحياة لا قيمة لها ولا متعة فيها .. زمان كان الحب قليل بين الناس .. أما اليوم اختفى تقريباً .. كل شئ مبرمج ولا مكان للمشاعر .. خير الأمور الوسط .. عشان

كده ركزت على الجزء اللي أنتم محتاجينه .. والفترة القادمة سيكون فيه اهتمام أكبر بالدراسة والعلم بإذن الله.

مرت بعض الأيام وتعرض الأولاد لمشكلة في امتحان نصف الفترة الدراسية حيث حصلوا على درجات منخفضة، فاستدعى حازم عم شبيكة إلى مكتبه، فدخل عليه وهو يفكر كيف سيكون الحوار بينهما، وعقب دخوله بادره:

- أنا عارف طبعاً أنك زعلان بسبب الدرجات اللي الأولاد حصلوا عليها..

- طبعاً .. وأنت السبب .. الأولاد كان مستواهم أحسن بكثير قبل وصولك.

- عندك حق .. أنا فعلاً السبب .. أنا خليت مستواهم العلمي يقل ولكن مستواهم النفسي ارتفع وبقى بينهم مودة وتفاهم وحب ... وده أهم شئ ممكن يساعدهم ليطوروا مستواهم التعليمي.

- وما علاقة الحب بالتعليم؟

- إن المُعلم الذي يكرهه الطلاب يكرهون المادة الدراسية التي يعلمها لهم ... الحب هو أقوى وأيسر طريقة للتعليم .. عليك أن تجعلهم يحبونك .. فإذا أحبوك أحبوا المادة التي تدرسّها لهم .. وسيفعلوا أي شئ لأجلك .. وإذا أحبوك ووقع حبهم في قلبك ستكونوا جميعاً في حالة من السعادة.

- أنت من يتحدث عن الحُب وأنت هجرت أولادك!

- أنا فعلت غلطت وتعلمت الدرس .. وعلى أي حال فحالكم اسوأ من حالي .. يجب أن يكون هناك مشاعر كي تتواصل مع الناس ... وهي لا تحتاج سوى قلب ينبض بالحياة.

- سيد مصطفى .. لا وقت لدي لفلسفتك .. ولا مجال للعواطف في حياتنا .. فإن القرين لا يعترف بها .. وهو يرفع تقارير عن المستوي العلمي لهؤلاء الأولاد .. ولو لم يحققوا الهدف المطلوب فقد يعانوا من الترحيل من هذه الدار .. فهي مخصصة للمتفوقين فقط .. وتقدم لهم خدمات ذات مستوى راقٍ عن غيرها.

- كنت مثلك أقول نفس الكلام .. لكني أخيراً فهمت أنه بدون المشاعر فإننا نتجرد من صفاتنا الإنسانية ... ونكون مثل الحيوانات بل أسوء منها ... فحتى الحيوانات لديها مشاعر .. بدون مشاعر سنكون مثل الجماد .. مثل الحجر ....

يضحك عم شبيكة ضحكة يختلط فيها الشجن مع السخرية، ثم يستأنف حديثه:

- بل سنكون أسوء من الحجر .. ربنا بيقول: {ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة} ... تعرف .. لو عاد بي الزمن .. لصحّحت هذه المفاهيم لنفسي وعلمتها أولادي .. كما أعلمها الآن هؤلاء الأولاد.

يسكت حازم متفكراً في الكلام، ثم يمنعه الخوف من الاستسلام، ويقول بغضب:

- أنا مدير ناجح ... ولابد أن أبقى ناجحاً.

- أنت فاهم النجاح غلط يا سيد حازم ... النجاح ليس فقط أن تحقق هدفك .. النجاح أن تكون سعيداً وتُسعد من حولك ... ولا يمكن ده يحصل وحياتك جافة .. هل تريد أن تكون مثل المكينة تعمل بلا احساس؟

- سيد مصطفى ... كثر كلامك وقل فعلك .. أنت بالفعل شبيكة .. مجرد طلب بسيط طلبته منك ... شبكته بأشياء أخرى كثيرة وتحاول أن توقعني في المشاكل .. يجب أن تغادر هذه الدار .. لن أسمح لهذه الفلسفة الجوفاء بالقضاء على مستقبلي.

- موافق .. لكن الأول اسأل الأولاد .. عاوزني امشي ولا استمر معهم.

- الأولاد ليس لديهم هذا الحق .. أنا المدير .. أنا فقط من يقرر.

مصطفى مازحاً بمرارة:

- طيب على الأقل نسأل القرين .. يمكن يكون أحنّ منك ويوافق استمر معهم ..

ثم رفع مصطفى يده وخاطب القرين وهو يبتسم:

- أيها القرين ... ايه رأيك في كلام السيد حازم يا كوكي؟

- عفواً سيد مصطفى لا أفهم .. أرجوك..

قاطعه عم شبيكة:

- تكلم بالفصحى .. حـــاضر .. أنا أحترم اللغة العربية وأحبها جداً .. ولكن اللغة لا تعني جفاف المشاعر بل التعبير عنها .. وأنا كنت بأدلعك فقط .. يعني مجرد اسم جديد لك.

- القرين لا يستطيع قبول ذلك .. لست مبرمجاً على تغيير اسمي.

- حاضر يا سيدي القرين .. حقك علي ..

ثم رفع عم شبيكة يده اليسرى ثم وضعها لأسفل، فتوقف القرين عن العمل كما هو مبرمج على ذلك، ثم توجه عم شبيكة إلى حازم، وقال له:

- وأنت يا حازم مبرمج على ايه؟

حملق إليه حازم، فشعر عم شبيكة بالارتباك فقال بصوت عالٍ للغاية:

- إنما اللي هيجنني ... ازاي أكون في عز شبابي .. وأصحى من النوم ألاقي نفسي عجوز!؟

ثم انصرف عم شبيكة وهو حائر بين التفكير في الأولاد والتفكير في نفسه؛ ماذا سيفعل الآن؟ ثم قابل الأولاد الذين أتوا ليودعوه بعد ما علموا أنه سيتركهم من خلال القرين والذي تلقى الأمر من حازم بإقالة عم شبيكة. تبادلوا نظرات الحب والتعاطف معاً، وأشاروا إليهم بالوداع، دون أن يتكلموا بكلمة واحدة ودموعهم تملء عيونهم.

الحُب ينتصر

- مهما تعالى الإنسان على مشاعره لابد أن تأتي عليه لحظات يضعف فيها أمام الحب .. فحتى الوحوش في الغابات يأخذها الحنين أحياناً بفريستها .. بل وقد تدافع عنها ... لماذا أنت هكذا جاف الاحساس وكأنك قطعة من الثلج؟

كانت هذه كلمات حنان زوجة حازم له، بعدما حكى لها ما حدث متفاخراً بإقالته لمصطفى، فرد عليها حازم:

- يبدوا أني أخطأت حينما حكيت لك ... هكذا رباني أبي وهكذا الحال في الدنيا ... الفاشل لا مكان له فيها ... يجب تحقيق الأهداف مهما كانت العواقب.

- حازم .. حقق هدفك ولكن لا تنسى أنك إنسان .. يبدوا أن شبيكة هذا لديه حق .. لقد جعلت الوسيلة هدفاً .. وسيطرت التكنولوجيا على حياتك ومشاعرك.

- المشاعر التي تمنع الإنسان عن النجاح هي مشاعر سلبية يجب التخلص منها.

- ربما يكون مصطفى بالغ في الاهتمام بالجوانب العاطفية للأولاد .. ولكنه كان مضطراً لمعالجة مشاعرنا التي صارت متبلدة ... ومن المؤكد أنه لو أخذ فرصة كافية .. كان سيحقق التوازن بين الاهتمام بالعلم والدروس وبين استعادة مشاعرنا المتبلدة.

بلهجة ساخرة وغاضبة رد حازم:

- مشاعر! ... الإنسان ما هو إلا مكينة للإنتاج ولكنها تأكل وتشرب ... منذ نعومة أظافرنا ندخل المدرسة نبقى بها أكثر من 8 ساعات ... مطلوب منا التركيز التام طوال هذا الوقت .. ثم نعود إلى البيت لنستكمل جرعة التعذيب بأداء الواجب المنزلي .. والذي يستغرق 4 ساعات إضافية يعني 12 ساعة من العمل المتواصل ... ونحن في مرحلة الطفولة البريئة ... كل مدرس يتفنن في وضع واجبات أشبه بالمستحيل تنفذيها خصوصاً مع واجبات باقي الدروس ...

- عندك حق .. فعلاً كلنا عانينا من الواجبات المنزلية.

- ثم نعود اليوم التالي ونحن في حالة رعب من العقاب اليومي الذي ينتظرنا إذا نسينا أي حرف من الواجب المنزلي! ..... حتى إذا أفلتنا من العقاب ... فإننا نعاني من رؤية زملائنا الذين لم يحالفهم الحظ في الانتهاء من واجباتهم وهم يتعرضون للعقاب ... يصرخون أمامنا ويتألمون كأنّهم في جلسات تعذيب... كأنّهم كفروا باللات والعزى ويريدون ردهم عن دينهم الجديد ...

- لهذه الدرجة يا حازم أنت تعاني؟!

- ثم نستمر هكذا منذ نعومة أظفارنا حتى نهاية العقد الثاني من عمرنا ... وتضيع أجمل أيام حياتنا بين العذاب في المدرسة والحبس في البيت لنحفظ كلمات لا نفهمها .. ثم ننساها بمجرد الانتهاء من الامتحان! ... وهكذا حتى ندخل الجامعة .. وحينما نتخرج يُقال لنا: انسى كل ما تعلمته؛ الواقع شئ والدراسة شئ آخر!

التقط حازم نفسَه، وقد زاد غضبه، واحمرت عينه، ثم قال:

- ثمانية عشر سنة دراسية لا قيمة لها في الحياة العملية أو حتى في حياتنا الشخصية ... لا نفهم شيئاً عن العمل ولا عن الحياة ... ثم تتكلمي عن المشاعر الإنسانية .... أرجوك لا أريد سماع أي كلام عن المشاعر .. ما نحن إلا ترس في مكينة لا تتوقف عن الدوران ولا ترحم من يتوقف .. ولا هدف لها سوى العذاب.

صمتت حنان مفكرة في كلامه، ثم قالت:

- لديك الحق ... بالرغم من التقدم التقني الهائل الذي أحدثه القرين في حياتنا جميعاً .. إلا أنه لم يستطع تغيير نمط الحياة السلبي الذي نعيشه ... لدينا مجتمع متلقي للعلم والمعرفة ولا يصنعها .. لم يتغير من مناهج الدارسة سوى أننا تحولنا من الكتابة التقليدية بالورقة والقلم إلى الكتابة الالكترونية .. حتى القرين فقد اخترعه مواطن يعيش خارج البلاد ... ولولا إخلاصه وحبه لبلادنا لباع الاختراع إلى البلد التي ساعدته حتى اخترعه ...

ثم ساد السكون، وجلس حازم وحيداً يفكر في حياته، وأخيراً قرر الذهاب إلى والدته.

لقاء حازم ووالدته

ذهب حازم إلى والدته؛ صافحها بكل جدية كما لو كان يصافح أحد رؤساءه في العمل، ثم جلس على كرسي ليس هو الأقرب إليها، وسألها:

- كيف حالك يا أمي؟

- بخير ... لا تشغل بالك ... منذ متى تهتم بي؟ .. أنت لم تزرني منذ شهور.

- آسف ... ايه ..

- أعرف ... ستقول مشغول ... وستظل مشغولاً للأبد ... لأنك لا تهتم إلا بتحقيق أهدافك فقط ... وكأنّ العمل هو الشئ الوحيد الهام في الحياة.

- لديك حق ... أنا فعلاً مقصر في حقك.

الأم وهي حزينة:

- ومتى ستعطيني حقي؟

- لما أحقق ...

- كل مرة تكرر نفس الكلام ... أنت لن تتغير.

تسود لحظات صمت ثم يقول حازم:

- ما المطلوب مني؟ أن أهمل عملي وأهجر أحلامي؟

- لا طبعاً ... لكن أهتم بأهلك ولو نصف أو ربع اهتمامك بعملك ... الإنسان لا يستطيع تحقيق نجاح حقيقي دون مساعدة من حوله .. ودون حبهم له.

- أنت أيضاً تتكلمي عن الحب يا أمي ... ألا يكفي مصطفى؟

- مصطفى!

- نعم ... هو موظف في الدار .. كان يشرف على الأولاد ولكني أقلته .. لأن كل اهتمامه كان عن المشاعر والحُب ... فانحدر مستوى الأولاد التعليمي وكادوا يفشلوا ... تصوري إنه يعتقد أن الحُب يساعد على التعلم.

- هذا الرجل لديه نفس اسم والدك لكنه أفضل منه تفكيراً ... فوالدك كان يفكر مثلك .. وهجرنا بسبب اهتمامه المبالغ فيه بالنجاح على حساب المشاعر .... لكن يبدوا أن هذا الرجل مدرك لحقائق الأمور.

تدخل قطة صغيرة على أم حازم وتقترب منها، فتلمسها بحنان، وكأنّها تعوض ما ينقصها من حُب ابنها لها.

- يبدوا أنكِ تحب هذه القطة.

- الحمد لله أنك ما زلت تعرف أن هناك شئ اسمه الحُب.

- ليس لهذه الدرجة ... أنا بالطبع أدرك طبيعة مشاعر الحُب ... يشعر المحبوب برغبته في التواصل مع من يحب.

- هذه هي مشكلتك يا حازم أنت تفهم الحب ولكنك لا تشعر به ... فأنت تدرس الحُب كأنّه أي مادة علمية ... في حين أنه يحتاج إلى من يشعر به قبل أن يفهمه.

- وكيف أشعر به؟

- لا شئ .. فقط اترك لمشاعرك الحرية ... ولا تخشى اظهارها أمام الناس.

- لكن هذا قد يبدوا ضعفاً.

- الضعف هو أن تخاف اظهار مشاعرك خوفاً من الناس.

سكت حازم قليلاً متفكراً في كلام والدته، ثم أنصرف مودعاً إياها بطريقة لم يفعلها من قبل، حيث اقترب منها وهو يصافحها وانحنى تجاهها، فقبلته والدته، بينما ترك هو نفسه لها؛ لم يقبلها ولم يرفض ذلك.

ثم طلبت منه والدته طلباً:

- حازم .. ممكن ترسل لي صورة هذا الرجل؟

تعجب حازم ثم أرسلها في صمت من خلال القرين .. نظرت والدته إلى الصورة بتعجب، وتفحصت ملامح الرجل، بينما انصرف حازم قبل أن تنطق بكلمة.

مناجاة على ضفاف النيل

على ضفاف النيل وقت الغروب، كان عم شبيكة يهيم على وجهه وهو منكسر القلب حزين النفس لا يدري ماذا يفعل، يقف قليلاً ويمشي كثيراً، يتأمل في النيل وكأنّه يحكي له أحزانه؛ ذلك النهر الذي شاركه الجميع كل شئ منذ الآف السنين؛ الحزن والفرح، الحب والجرح، وبينما تتساقط الدموع من عينيه، نظر إلى السماء، وتحدث حديثاً لا يدري هل يحدثه به نفسه أم يحدث به ربه،:

- أنا عملت ايه عشان يحصل لي كده؟ أنا مش فاكر أي حاجة من ساعة ما خرجت وأنا غاضب من بيتي ... فجأة أصحى من النوم وأنا عجوز في بيت قديم .. مش عارف أي حاجة عن أسرتي ...ايه اللي بيحصلّي ده؟

ثم توجه مصطفى بالحديث إلى ربه تعالى فقال:

- يا ربي .. أنا طول عمري في حالي وعمري ما أذيت حد .. أرجوك ساعدني مليش سواك ... أنت سندي الوحيد يا ربي.

تسقط الدموع من خديه على يديه، فينتبه بوجود اتصال من خلال القرين ... يرفع عم شبيكة يده ليرى من المتصل:

- ده حازم ... يا كريم يا ربي ... بسرعة استجبت دعوتي.

ثم يرد متلهفاً: - الو الو..

ثم يهدأ ويغير نبرة صوته ليتكلم وكأنّه لا يبالي:

- من يتحدث؟

- أنا حازم .. أريد أن أراك سيد مصطفى إذا سمحت.

- لكن أنا مش فاضي حالياً ... أول ما أفضى هكلمك.

- ماذا تفعل الآن سيد مصطفى؟

يلتفت مصطفى فيرى بجواره عربة ذرة مشوي على أشعة الليزر، فيقول:

- إنني بصدد تناول كوز ذرة مشوي على أشعة الليزر .. شكله رائع جداً.

- سيد مصطفى أعرف أنك تريد العودة بكل كيانك ....

ثم يغير حازم من نبرة صوته ويقول بصوت منخفض:

- أنا آسف .. أرجوا أن تعود لدار الأيتام.

- يـــــــاه أنت شكلك اتغيرت خالص ... ايه اللي حصل لك؟

- برجاء الحضور وسنناقش كل شئ بإذن الله .. مع السلامة.

- مع السلامة يا ابني.

ثم نظر عم شبيكة إلى السماء وقال بصوت عالٍ:

- الحمد لله .. يا ما أنت كريم يا ربي .. إنما اللي هيجنني ... ازاي أكون في عز شبابي .. وأصحى من النوم ألاقي نفسي عجوز!؟

عودة عم شبيكة

يعود مصطفى إلى دار الأيتام، يدخل على حازم في مكتبه فيراه حائراً يبحث عن شئ ما، ويدور بينهما الحوار:

- السلام عليكم .. كيف حالك يا حازم؟

- الحمد لله بخير أنا أحسن بكثير الآن.

- أحسن من ايه؟

- أحسن من الأمس وأول الأمس وأول أول .. بدأت أحس إني إنسان ومن حقي العيش كإنسان والتعبير عن مشاعري بلا خوف ... بحلم ولكن دون أن أتحول إلى مكينة ... فأنا خُلقت إنسان وسأعيش وأموت إنسان .... لقد ماتت مشاعري وصرت أعمل كالآلة بلا احساس .. لكن من اليوم سأعمل دون أن أفقد مشاعري الرائعة ... والله يسامح من كان السبب.

- تقصد مين؟

- والدي رحمه الله إذا كان حياً أو ميتاً.

- أنت متعرفش والدك عايش ولا لأ؟

- نعم ... من أكثر من 30 عام لم نعرف عنه أي شئ ... لقد اختفى في يوم ما.

تسيطر على عم شبيكة العديد من المشاعر المتناقضة بين الفرحة وبين التوتر ويقول بانفعال شديد:

- أنا كنت عندي احساس غريب تجاهك لكن الآن تأكدت ... أنت حازم .. مهما غيرت الأيام شكلك .. دمك نفس الدم .. أنت ابني .. أنا حسيتك من أول لحظة لكن كنت بكذب احساسي..

يشعر حازم بصدمة شديدة .. لا يعرف هل يفرح أم يحزن؟ هل يصدقه أم يكذبه؟ وبعد لحظات كان الصمت فيها هو سيدها، قال بهدوء:

- أنا لازم أمشي فوراً ...

- تقصد ايه؟ أنا والدك يا بني.

- أنت طبعاً زي والدي ويمكن أحسن .. لكن لا يمكن أن تكون والدي .. والدي كان مثلي جاف المشاعر .. لا يهتم إلا بالعمل فقط.

- أنا فعلاً كنت كده لكني تغيرت ... الآن فهمت أن الحُب هو أهم شئ .. وأن الأحلام اللي لها قيمة حقيقية بدون حُب لا يمكن أن تتحقق ..

- أرجوك الموضوع لا يحتمل المزيد من الكلام.

- عندك حق ... اللي يشوفني الآن ميصدقش أني كنت الأب الذي يعامل أولاده بكل قسوة.

يقف حازم أمام والده يحملق في وجهه وهو بين الشك واليقين ويقول وعينيه تملؤهما الدموع:

- لقد شككت فيك من أول يوم .. فالاسم هو نفس الاسم .. ولكن كان من الصعب أن أقتنع أنك ما زلت حياً .. فهو عمر طويل اختفيت فيه .. أعتقدنا جميعاً أنك ...

- مفيش داعي تقولها يا ابني ..

- حتى إذا كنت والدي .. لا أريدك في حياتي ... بعد أكثر من 30 سنة هجر .. مطلوب مني بكل بساطة أن أفرح بلقائك ... هل تعتقد أني سعيد أني وجدت أبي الذي جعل مني مكينة لا تعرف الحُب ... أين كنت طوال السنوات السابقة؟

- بجد مش عارف ... فعلاً مش عارف ايه اللي حصلي ... كل اللي فاكره أني خرجت غضبان .. وكنت أنوي لما أهدى ارجع البيت .. لكني صحيت وأنا عجوز في بيت غريب وقديم ... لو مش مصدق تعالى شوف البيت واسأل الجيران.

نظر حازم في عيني والده ليرى مدى صدقه وهو في حالة من الذهول:

- لا يهم أصدق أم لا ... أنا محتاج وقت أستوعب الموقف .. يمكنك العودة إلى عملك .. أرجوك اتركني الآن.

خرج عم شبيكة وهو لا يعرف هل يفرح أم يحزن، وترك حازم في حيرة وعذاب شديد.

التعليم الحر

ذهب عم شبيكة إلى الأولاد؛ فاستقبلوه بكل سعادة تماماً كما هو شعوره، واستكمل معهم مشواره؛ حيث الاستمتاع بالتعليم، واختيار المواد الدراسية التي يحبون دراستها، بدلاً من فرض عليهم دراسات وعلوم لا يحبونها، وأوضح لهم أن النظام الدراسي الجديد في الأساس قائم على الاختيار؛ فكل طالب من حقه اختيار موضوع في أي مادة علمية يحبها ويستمتع بها ... يقوم بعمل بحث عن هذا الموضوع .. ويقدم ما يستطيع من معلومات صحيحة عنه. لقد ترك لهم حرية الاختيار تماماً بلا قيود، فقط أن يكون هناك مصادر علمية صحيحة يتم تحصيل منها المعلومات .. ثم يتم عرض المعلومات بالطريقة المفضلة لكل طالب.

بدأ الأولاد البحث من خلال الشبكة النحلية وجهزوا بالفعل موضوعات مختلفة، كل فيما يحب، وبدأ العرض حيث قدم كل منهم موضوعه بطريقته المفضلة، منهم من قدمه في شكل عرض مكتوب مدعم بالصور وبدأ يشرح موضوعه وكأنه المعلم بكل ثقة يتكلم، بينما قدمت سلمى الموضوع بشكل تمثيلي، حيث مثلت عدة شخصيات، ووقفت تتحدث بكل ثقة:

- اليوم أقدم لكم عرض عن موضوعي المفضل وهو أنواع الفراشات؛ تقابلت ثلاث فراشات واحدة لونها أبيض والثانية صفراء اللون بينما الثالثة خليط من الأزرق والأخضر، قالت الفراشة الأولي أنا أفضل نوع من الفراش لأن لوني نقي فهو أبيض ناصع البياض، بينما الفراشة الثانية قالت ...

استمرت سلمى في عرض أنواع الفراش المختلفة وميزة كل نوع عن الآخر، ودورة حياة الفراش. أما رشدي فقد قدم موضوعه بشكل عملي في المعمل وهو عبارة عن تجربة كيميائية لإظهار نتيجة التفاعل بين بعض المواد الكيميائية. صفق مصطفى لهم بشدة وحياهم وقال لهم:

- اليوم بدأتم مشواركم العلمي الحقيقي .. فالعلم ليس مجرد معلومات نضعها في عقولنا ... والمعرفة ليست فقط بالتلقي ... ولكن الأهم هو الحصول عليها بالبحث والتنقيب عنها والتجربة العملية لنرى بأعيننا ونسمع بآذاننا ونجرب بأيدينا ... ثم نحول هذه المعرفة إلى منتج له قيمة حقيقية للجميع.

- لكننا اعتدنا يا على التلقي ... فالمدرس يلقننا ما يجب معرفته ... ونحن نسمع ونحفظ فقط.

- وكانت النتيجة جيل أغلبه حافظ لا يفهم ... أطباء يعالجون الناس خطأ .. مهندسين يقوموا ببناء مباني تقع فوق الناس ... معلمين لا يفهموا ما يعلّموه ... ومحامين يورطوا موكليهم في مشاكل بجهلهم بالقانون وهكذا .. بالطبع ليس الجميع وإنما الأغلبية .. ومن ينجح تجده قد اجتهد مع نفسه أو قام بالدراسة في الخارج.

- وما هو الحل؟

- الحل أنك تتعلم ما تحبه وتركز عليه من صغرك .. لا تقل لما أكبر اطلع كذا أو كذا ... لكن من الآن تعامل وكأنك طبيب أو مهندس أو رسام أو فني عنده المهارة

لإنتاج منتجات بديعة ... أو أياً كانت المهنة التي تحبها .... ابدأ من اليوم وتعلم كل ما تحتاجه كي تساعد نفسك بنفسك وحاول ممارسة ما تتعلمه وتطبيقه عملياً.

رشدي: لكني ما زلت صغير.

- أكيد أنت صغير الآن لتعمل .. لكن لست صغيراً لتركز على حلمك وتستمتع بتعلم كل ما له صلة به وتتصور نفسك من الآن وأنت تمارس مهنتك وتحصل المعارف التي تخصها ... وتمارس المعارف عملياً ... هكذا يمكنك تحقيق حلمك على أفضل وجه وأقل وقت ... لماذا يجب الانتظار حتى يكن عندك عشرين سنة لتبدأ عمل ما تحبه؟

كريم: لكن نظام التعليم كله هكذا ... ولن نستطيع تغيير الكون.

- نعم لن نستطيع تغيير الكون ... ولكن يمكننا تغيير أنفسنا وهذا كفاية بالنسبة لنا ... نحن مسئولون عن أنفسنا وليس عن الكون كله ... أهم شئ أنك تستمتع بما تتعلمه وبما تعمله ...

- يعني ادرس فقط ما أحب! وباقي المواد الدراسية التي يجب تعلمها مثل اللغات والتاريخ والعلوم و...

- عليك تحصيل فقط ما هو ضروري منها لتعلم ما تحب .. مثلاً عليك تعلم اللغة التي تحتاج إليها لتعلم وممارسة ما تحب .. عليك تعلم كيف تأكل وتشرب وتعيش حياة صحية وليس عليك تعلم كيف يتنفس ويتكاثر النبات طالما أنك لا تهتم

بالزراعة، وإذا كان هذا واجب تعلمه لسبب آخر لا أعرفه .. فيكفي درس في الطبيعة بين النباتات والحقول مع مدرس يشرح لنا كل شئ عدة ساعات وسوف نفهم أفضل بكثير ما تعرضه الكتب من معلومات نظرية مليئة بتفاصيل غير مفيدة.

تنفس عم شبيكة الصعداء ثم قال:

- عليكم أن تفهموا أن النظام التعليمي الذي يقوم على أساس منهج واحد ثابت للجميع .. هذا النظام يعتبر أن كل الطلبة لهم نفس التطلعات والاهتمامات وأنهم جميعاً على نفس مستوى الذكاء **... وفي الحقيقة هذا النظام يظلم الجميع.**

سلمى: عم شبيكة .. هل تقصد أنه يجب وضع نظام خاص لكل طالب .. هذا مستحيل ... فهناك الملايين من الطلبة.

- ليس بالضبط ... نظام التعليم الذي أقصده هو نظام تعليمي حر ومرن .. لا يقم على مناهج محددة ... يكون القائمون عليه على علم وثقافة واسعة ... معلوماتهم لا تقتصر على المواضيع التقليدية ... دورهم هو التوجيه قبل التعليم .. بل ربما تعلموا هم من الطلبة العديد من المعلومات .. وأدركوا من المعارف ما لم يكن لديهم بها معرفة سابقة .. حينها يكون النظام الحر المرن ... كما هو الحال معكم الآن ... أترك لكم حرية اختيار المواضيع التي تحبونها .. فتحصلون على معرفة أكثر وأفضل من نظم التعليم التقليدي ... والأهم أنها ستبقى في عقولكم لأنكم بحثتم عنها بأنفسكم واختياركم .. فهمتوها .. بل وقمت بتطبيقها عملياً.

واستمر الأولاد في نظام التعليم المرن القائم على اختيار المواضيع التي يحبها الطالب، والذي وضعه لهم عم شبيكة على مسئوليته الخاصة، حيث البحث عن معلومات عن موضوعاتهم المختارة، كما أبدعوا في ابتكار أساليب جديدة لعرض موضوعاتهم بطريقة ممتعة ومرحة، وصار التعليم لهم متعة يختارونها وليس واجب عليهم تنفيذه وهم متضررين.

حصّل الأولاد الكثير من المعارف في مجالات متنوعة، واستطاعوا من خلال هذا النظام الحر اكتشاف ميولهم ومواهبهم الحقيقية التي خُلقوا بها ولها، وصار لكل منهم حلم ليس فقط يريد تحقيقه حينما يكبر، بل بالفعل بدأوا بالعمل على تحقيقه من الآن؛ صارت سلمى تهوى عالم الحشرات والنباتات ومن خلال البحث المستمر، صار لديها معلومات تصل إلى مرحلة طالب جامعي متخصص، وبالنسبة إلى رشدي فقد صار أقرب إلى عالم كيميائي صغير، لم يعد فقط يقوم باجراء تجارب كيميائية تقليدية، بل أصبح يبتكر التجارب ويبني عليها نظريات علمية مفيدة وبناءة، كذلك كريم والذي أبدى اهتمام بالرياضيات وأصبح يستطيع حل أصعب المعادلات الرياضية، وفي يوم ما، دار هذا الحوار بين العلماء الصغار وبين العجوز المتمرد:

كريم: عم شبيكة ... هل من الممكن أن ننجح فعلاً في الامتحانات ... لقد أصبح كل اهتمامي بالرياضيات فقط ... أما باقي المواد العلمية فصار اهتمامي بها محدود جداً ... أخشى أن أرسب فيها.

سلمى: أنا أيضاً خائفة لأني لم أعد اهتم إلا بالعلوم.

- وأنت يا رشدي هل أنت خائف أيضاً؟

- لا ... فلقد تعلمت من العروض التعليمية التي قدمها كريم وسلمى الكثير ... لقد كنت أركز في تعلمها واستمتعت بطريقة عروضهم جداً ... أعتقد أنني جاهز للامتحان فيها جميعاً وبدون مراجعة ... لأني لم أحفظها بل فهمتها.

- رائع يا رشدي ... هل فهمتم قصدي؟ ... الجميع يعلّم بعضه البعض .. وهذا هو جوهر التعليم الحر المرن، فأنت تسمع وترى وتفهم ما يعرضه الآخرون من معلومات مفيدة يعرضونها بطرق مبتكرة ومشوقة ... فينتقل شغفهم ومعارفهم إليك .... أنتم جميعاً الآن على أعلى مستوى علمي .. لن تنجحوا فقط... بل ستحققوا أعلى تقديرات في الامتحانات جميعها بإذن الله ... فقط ثقوا في الله ثم في أنفسكم.

- طيب واللغات يا عم شبيكة؟

- لقد درستم اللغات بالفعل ... حينما كنت أصحح لكم الأخطاء اللغوية في عروضكم الرائعة والتي كانت بعدة لغات ... كنتم تتعلمون اللغات بطريقة غير مباشرة ... أنتم جاهزون للامتحانات دون أن تشعروا ... لا تخافوا من شئ ... أنتم المستقبل الحقيقي للبلاد وأتمنى أن يكون باقي الطلبة مثلكم.

يقف الأولاد تباعاً واحد وراء الآخر بروح مرتفعة وابتسامة عريضة ويحيوا معلمهم بالتصفيق الحاد له وتغمر عيونهم دموع الفرحة والشعور بالإنجاز

والنجاح، بينما ينظر مصطفى إلى السماء؛ يحمد الله تعالى على ما الهمه إياه واستجابة دعوته وتعويضه ما فاته من عمره بعيداً عن أولاده.

أنت تسأل والقرين يجاوب

خاض الطلبة الامتحانات وحصلوا على النتيجة بأعلى الدرجات وتفوقوا على أنفسهم وعلى باقي الطلبة بجدارة وحققوا المراكز الأولى، وقررت الوزارة تكريمهم، بالرغم من ذلك لم يزل حازم ناقماً على أبيه الذي خذله وهو صغير بقسوته وهجره عمراً طويلاً، ثم ظهر ليسبب له حالة من الضغط النفسي الشديد، ورفض للواقع الغريب الجديد؛ فكيف يكون له فجأة أب وقد تربى كاليتيم؟

بدأت مراسم الحفل؛ حيث حضر الحفل عدد من المسئولين من وزارتي التعليم والشئون الاجتماعية، وكذلك حضرت والدة حازم وأخته، ولم يكن حازم قد أخبرهما بعد أن مصطفى يدّعي أنه والده، فقد أراد التأكد أولاً من مدى

مصداقيته، وكذلك التأكد من كونه حقاً جدير بمنزلته كأب بعد هجرهم 35 عام، وحتى لا يسبب لهما صدمة دون أن يكون مضطراً لها.

كان عم شبيكة مستوعباً تماماً موقف حازم، وكان حكيماً مقدراً موقفه ومشاعره، فلم يضغط عليه، وبدلاً من ذلك، وجه كل طاقته إلى تعليم الأولاد وتربيتهم ليؤكد أنه نِعم المعلم والمربي، وأنه جدير بمكانته كأب، وكان كل ما يتمناه عم شبيكة أن يفتخر به ابنه.

تلألأت قاعة الحفل بالأنوار المبهرة، وتم وضع كراسي مميزة لكبار الزوار في الصفوف الأمامية، كما تم وضع الهدايا أمامهم ليسلموها إلى الطلبة المتفوقين وإلى معلمهم الذي لم يبخل عليهم بشئ. بينما جلس عم شبيكة في آخر قاعة الحفل، وعينيه على حازم وكأنّه ينتظره أن يأتي إليه ويأخذ بيده إلى الأمام، ولكن طال انتظاره دون جدوى. وبدأت الحفلة بقراءة بعض آيات القرآن الكريم، ثم بعض أغاني الفرحة والبهجة التي اختارها القرين وفقاً لهذه المناسبة، ثم كلمة نائب عن الوزير عن كل وزارة، ثم جاء دور حازم، فتقدم إلى المنصة وقال:

- بسم الله الرحمن الرحيم .. لا أعرف كيف ابدأ .. لكن ما أعرفه أن من يستحق كل الاحترام وكل الحُب هو السيد مصطفى ... والذي أحدث طفرة في عالم التعليم كانت تحمل الكثير من المخاطر ولكنه تحملها وواجهها .. كما علم الأولاد كيف يكون الحب والمودة قبل أن يعلمهم المعرفة والعلوم ... ولي الشرف أن السيد

مصطفى هو والدي ... والذي افتقدته منذ سنوات طويلة ... ثم عاد ليعلمني أهم درس في حياتي.

صمت حازم قليلاً ونظر إلى أبيه ثم إلى أمه وأخته ثم قال:

- علمني أبي أن الحُب هو جوهر الحياة بل هو الحياة نفسها.

ثم نزل حازم من فوق المنصة وبيده مكبر الصوت، وذهب إلى أبيه، وقبل يده، فحضنه الأب وهو يبكي من الفرحة:

- أخيراً وجدتك يا بُني .. لن أترككم أبداً مرة أخرى.

في هذه اللحظات، بينما وقفت أخت حازم في حالة من السعادة الغامرة تنظر من مكان ليس بعيداً عن والدها، تقدمت أم حازم منه وهي تمسح دموعها، وقالت:

- مصطفى ... لقد عرفتك من صورتك فوراً ... لكني تعجبت من تغيير أفكارك ... ... فقررت أصبر حتى تتعرف بنفسك على أولادك ويتعرفوا عليك .... سامحني يا مصطفى أني لم أكن على قدر المسئولية ... ولم أمنحك ما أحتجته من حب ... فكان ذلك سبب جفائك لأولادك ولنا جميعاً، لكن صدقني أنا تغيرت.

رفع عم شبيكة يده ووضعها على فمها وهو يقول:

- أنا أيضاً اخطأت .. كان يجب أن أبادر بتغيير نفسي .. ولو كنت بدأت بنفسي كنتم وبدون شعور تغيرتم ...

كانت أخت حازم تقف غير بعيد، لكنها لم تتقدم بعد للسلام على والدها، فنادت عليها والدتها وطلبت منها التقدم للسلام عليه، نظر إليها عم شبيكة، ففتح فاه ولم يستطيع أن ينطق بكلمة، فاقتربت منه وقالت:

- أعرف أنك ستغضب مني ... لكني قررت ألا أخبرك أي معلومة قبل أن تغير من نفسك أولاً ونتأكد أنك تستحقنا .. أنا من رشحك للعمل مع حازم في دار الأيتام دون علمه، لأنه لو علم لرفض وجودك، فقررت أقربكما من بعضكما البعض أولاً، ويتعرف عليك حازم كإنسان ثم يعرفك لاحقاً كأب، وكذلك أخفيت عن والدتي خوفاً عليها من الصدمة ... كان يجب التأكد أولاً منك يا عم شبيكة .. يا والدي العزيز.

صاح كل من حازم والأم في لحظة واحدة:

- سارة ... أنتي عارفة كل حاجة ولم تخبريني؟!

- من أول لحظة قرأت تقرير الحالة الصحية له .. عرفت أنه والدي ... لقد كنت في السادسة من عمري حينما هجرنا ولكني ما زلت أتذكره ... ومهما غيرت الأيام شكله .. فما زالت روحه لم تتغير .. سامحوني ... لم يكن أمامي حل آخر.

انهارت الدموع من عيني عم شبيكة، وتقدم إلى ابنته سارة وحضنها بكل لهفة وحُب، ثم ضم إليه كذلك حازم، بينما اقتربت منهم الأم وهي تبادلهم دموع الفرحة، فرفع عم شبيكة يده ليضم كذلك الأم إلى حضن جماعي، وهو يقول:

- إنما اللي هيجنني ... ازاي أكون في عز شبابي .. وأصحى ألاقي نفسي عجوز!؟

في هذه اللحظة، نتيجة رفع عم شبيكة يده اليسرى أثناء سؤاله، نطق القرين:

- سيد مصطفى .. منذ 35 عام نتيجة تأثير صدمة قوية ... يبدوا أنها من حادث سيارة .. حدث لك فقدان للذاكرة تراجعي وتقدمي .. أي أنك فقدت ذاكرتك للفترة ما قبل الحادثة .. وكذلك فقدت القدرة على تذكر أي أحداث جديدة بعد الحادثة .... ثم حدث لك حادث ثاني مؤخراً .. ويبدوا أن رأسك اصطدمت صدمة قوية بالأرض ... فرجعت إليك ذاكرتك القديمة للفترة ما قبل الحادثة الأولى .. لكنك لم يكن لديك ذاكرة عن الفترة ما بين الحادثة الأولى والثانية .. وعليه لا تستطيع تذكر أي شئ عن هذه الفترة التي هجرت فيها أسرتك وعشت فيها وحيداً .. كنت خلالها تعمل كعامل بسيط في محل أسفل المبنى الذي تسكن فيه ... ولا تتحرك إلا من بيتك إلى المحل والعكس ... كما أخبر بذلك جيرانك.

يشعر عم شبيكة بالارتباك نتيجة معرفة الخبر، خصوصاً أمام أولاده وجميع الحاضرين، فيقول: هل هذا فيلم هندي؟

- ربما ... ولكنه يحدث في عدد غير قليل من الحالات .. ولعل السبب أنك كرهت تلك الفترة الأخيرة من حياتك .. فعجز عقلك عن القدرة على تذكرها ..

تعجب مصطفى وأحمر وجهه من الغضب، ثم صاح في القرين:

- وأين كنت من زمان يا أستاذ قرين .. لماذا لم تخبرني بذلك سابقاً؟

- سيد مصطفى كي أقدم لك المعلومات .. يجب أن تسأل بينما ترفع يدك اليسرى حتى أتأكد من رغبتك في الحصول على معلومات .. وهذا لم يحدث إلا الآن .. وأنا لا أتحدث إلا حينما يُطلب مني .. أنت تسأل والقرين يجاوب!

ضحك الجميع، ثم التفت عم شبيكة إلى حازم وطلب منه مكبر الصوت ليقول كلمة صغيرة، فرحب بذلك حازم. أمسك الرجل بالمكبر ومشي بين الناس والطلبة والمسئولين، ينظر إليهم نظرات يملؤها الحب وقال:

- لا تكن جزءاً من منظومة سلبية لمجرد أنك تخاف من التغيير .. لا تقل مثل الجاهلين: {إنا وجدنا آبائنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون} .. تمرد على أي خطأ ... تمرد ..

ثم صمت وتنفس بعمق وقال:

تمرد ... وليكن أول ما تتمرد عليه ... أفكارك ومشاعرك السلبية

ثم اقترب من المسئولين وقال:

- كنت أتمنى أن أعرف أين كنت منذ 35 عام .. والآن عرفت ... لكن لا يهم .. ما يهمني أن أعرف أين أنا الآن ... ما يهمني أني وجدت نفسي قبل فوات الأوان ... أرجوا أن نعمل الصواب الذي نطور بها حياتنا بحق ... حتى لا تمر علينا عشرات السنوات ونحن في مكاننا ... هذه ليست قصة ألف ليلة وليلة ... ولا مجرد كلام لفض الليلة ... أيها السادة المحترمون ... أنتم عن أبنائنا مسئولون .. فكونوا على قدر أهمية المسئولية ... وغيّروا فعلياً تلك الأوضاع المتردية ... أو اتركوها وبرئوا ذمتك أمام رب البرية.

وانتهي اللقاء بتكريم الأولاد ومعلهم ومنحهم جوائز التقدير والهدايا، وعاد عم شبيكة إلى أبنائه وأم أبنائه، واستمر في دوره كمعلم ومربي للأجيال الناشئة، على أمل في مستقبل أفضل .. مستقبل يقوم على كلٍ من المعرفة والمودة بين الناس.

تم بحمد الله